



بحوث في أصول التفسير ومناهجها

تأليف

أ.د. / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين بالرياض

مكتبة
التوبة

بَحْوثٌ فِي
أَصُولِ التَّقْنِيَّاتِ
وَمَنَاهِجِهَا

بَحْوثُ فِي
أُصُولِ التَّفْسِيرِ
وَمَنَاهِجِهَا

تَأَلَّفَ
أ. د. / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الروي
أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين بالرياض

مَكْتَبَةُ
التَّوْبَتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (١). «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (٢). «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (٣).. أما بعد:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدى هدى محمد — صلى الله عليه وسلم — وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة وكلُّ ضلالة في النار.

وإنَّ من خير ما تُصَرَّفُ فيه الجهود، وتُبذَلُ فيه الطاقات هو نشر هذا الدين وبيانُه للناس، بإسلوب مُيسَّر، يُقَرِّبُ لهم البعيد ويجلو لهم القريب.

وحين أُسْنِدُ إليَّ تدريس مقرر «أصول التفسير» في كلية المعلمين بالرياض وقد شاركت من قبل في وضع مفرداته لم أجد كتاباً يجمع أبوابه، بل منها ما لم يُكتب فيه كتابة وافية فرأيت أنَّ الحاجة ماسة إلى

تمام التمهيد
والقسمين
الله هدى
دعهم

(١) سورة آل عمران آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٧٠-٧١.

وضع كتاب في أيدي الطلاب يجمع لهم الشتات و يكون لهم مرجعا يجمع
عناصر الدرس، و يُعينهم على التحصيل، و يفتح الباب لمن أراد ان
يخوض العباب الزاخر.

واسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه إنه سميع مجيب..

المؤلف

أولاً: تعريف علم أصول التفسير وبيان مكانته وفضله

أ - تعريفه:

الأصول: لغة جمع أصل، وهو في اللغة عبارة عما يُفتقر إليه ولا يُفتقر إلى غيره، وفي الشرع عبارة عما يُبنى عليه غيره ولا يُبنى هو على غيره، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه و يُبنى عليه غيره^(١).

التفسير لغة:

اختلف علماء اللغة في لفظ (التفسير):

١ - ف قيل: هو (تفعيل) من (الْفَسْر) بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المُشْكِل^(٢). قال تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا»^(٣) أي تفصيلاً^(٤).

٢ - وقيل: هو (مقلوب) من (سَفَر) ومعناه أيضا: الكشف. يقال: سَفَرَتِ المرأةُ سُفُوراً إذا أَلْقَتْ خِمَارَهَا عن وجهها وهي سافرة. وأسفر الصُّبْحُ: أضاء. وإنما بَنَوْا «فَسَرَ» على التفعيل فقالوا «تفسير» للتكثير^(٥).

وقال الراغب الاصفهاني: (الْفَسْرُ) و(السُّفْرُ) يتقاربُ معناهما كتقارب لفظيهما لكن جُعِلَ الْفَسْرُ لإظهار المعنى المعقول.. وجعل السُّفْرُ لإبراز الأعيان للأبصار، ف قيل: سَفَرَتِ المرأةُ عن وجهها وأسفر الصبح^(٦).

(١) التعريفات: الجرجاني، ص: ٢٢.

(٢) تهذيب اللغة: الأزهرى، ج: ١٢ ص: ٤٠٧.

(٣) سورة الفرقان. الآية: ٣٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج: ١ ص: ١٤٨.

(٥) المرجع السابق: ج: ١ ص: ١٤٧.

(٦) المرجع السابق: ج: ٢ ص: ١٤٨.

التفسير اصطلاحاً:

والتفسير اصطلاحاً: عِلْمٌ يُفْهَمُ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحُكْمِهِ^(١).

وقال أبو حيان: التفسير علم يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَةِ النُّطْقِ بِالْفَافِ الْقُرْآنَ وَمَدْلُولَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرَكِيبِيَّةِ وَمَعَانِيهَا الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا حَالَةَ التَّرَكِيبِ وَتَتِمَّاتُ لَذَلِكَ^(٢).

الفرق بين التفسير والتأويل^(٣):

والتأويل لغة من الأَوَّل، وَأَوَّلُ الْكَلَامِ وَأَوَّلُهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ، وَأَوَّلُهُ وَتَأَوَّلَهُ: فَسَّرَهُ^(٤).

والتأويل^(٥) في اصطلاح المفسرين فيه خلاف:

فقال طائفة: ان التفسير والتأويل مترادفان:

قال ابو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: «التأويل والمعنى والتفسير واحد»^(٦).

ونسب السيوطي هذا القول الى ابي عبيد وطائفة ومنه دعوة رسول الله

(١) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ج: ١ ص: ١٣ وانظر الاتقان للسيوطي ج: ٢ ص: ١٧٤.

(٢) البحر المحيط: لابي حيان الاندلسي ج: ١ ص: ١٣-١٤.

(٣) للشيخ حامد العمادي (مفتي دمشق) رسالة لطيفة بعنوان «التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل» أقوم بتحقيقها.

(٤) لسان العرب: لابن منظور مادة (أَوَّل) ج: ١١ ص: ٣٣.

(٥) لمن اراد مزيد البيان عن التأويل فلينظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج: ١ ص: ٢٠١-٢٠٨ وج: ٥ ص: ٢٣٧ وص: ٣٨١-٣٨٤ وكتابه «الاكلیل» ضمن مجموع الفتاوى ج: ١٣ ص: ٢٨٨-٢٩٤.

(٦) الاتقان: السيوطي، ج: ١ ص: ١٧٣.

صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل^(١).

وقول ابن عباس رضي الله عنهما «انا ممن يعلم تأويله»^(٢).

وقول مجاهد «الراسخون في العلم يعلمون تأويله»^(٣) يعنى القرآن
وقول ابن جرير الطبري في تفسيره: «القول في تأويل قوله تعالى..» وقوله
«واختلف أهل التأويل في هذه الآية». فإن المراد في التأويل هنا
التفسير.

وقالت طائفة: إنَّ بين التفسير والتأويل فرقاً ثم اختلفوا:

١ — فمنهم من يرى أنَّ الاختلاف بالعموم والخصوص.

أ — فقال بعضهم: إن التفسير أعمُّ من التأويل. قال الراغب
الأصفهاني: «التفسير أعمُّ من التأويل وأكثر استعماله في الألفظ
ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل كتأويل الرؤيا.
وأكثر ما يستعمل — يعني التأويل — في الكتب الإلهية والتفسير
يستعمل فيها وفي غيرها»^(٤).

ب — وقال بعضهم إنَّ التأويل أعمُّ لجريانه في الكلام وغيره يُقال
تأويل الكلام كذا، وتأويل الأمر كذا. أي ما يؤلان إليه.. بخلاف
التفسير فإنه يُخصُّ الكلام ومدلوله يُقال تفسير الكلام كذا والقضية
كذا^(٥).

٢ — ومنهم من يرى أنَّ الاختلاف بينهما بالتباين. ثم اختلفوا:

(١) رواه الإمام احمد في مسنده: ج: ١ ص: ٢٦٦ والطبراني في الكبير (١٠٦١٤) و(١٢٥٠٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج: ٦ ص: ٢٠٣ رقم ٦٦٣٢.

(٣) تفسير مجاهد ج: ١ ص: ١٢٢.

(٤) الإتيان: السيوطي: ج: ٢ ص: ١٧٣.

(٥) الإكسير في علم التفسير: الطوفي الصرصري ص: ٢.

أ — فقول: التفسير هو القطع بأنَّ مُرادَ الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع. وهذا قول الماتريدي^(١).

ب — ومنهم من قال التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية.

قال الخازن: «الفرق بين التفسير والتأويل أنَّ التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح»^(٢) مثال التفسير قوله تعالى: «وَلَا تَأْيِسْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَسَلُوا»^(٣) هما الأوس والخزرج، وقوله تعالى «سُدَّ عَوْنُ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ»^(٤) هم فارس واهل اليمن، وقوله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٥) هو الأخنس بن شريق، وقوله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^(٦) هو صهيب، فهذا ونحوه من التفسير ولا يتكلم فيه إلا بالسمع ومثال التأويل قوله تعالى «أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا»^(٧)، قال بعضهم: أي شبانا وشيوخا. وقال آخرون أي فقراء واغنياء، وقال قوم أي عزبانا ومتأهلين، وقال جماعة أي اصحاء ومرضى، وقال طائفة أي نشاطا وغير نشاط، فهذا من التأويل، وكله جائز مقبول ولا بأس بالقول به بما يوافق الأصول ولم يخالف العقول^(٨).

ج — وقيل علم التفسير للخلق وعلم التأويل للحق، قال تعالى: «وَمَا

(١) الإِتقان : السيوطي ج: ٢ ص: ١٧٣.

(٢) تفسير الخازن: ج ١ ص ١٠.

(٣) سورة الحجرات: من الآية: ٩.

(٤) سورة الفتح: من الآية: ١٦.

(٥) سورة البقرة: من الآية: ٢٠٤.

(٦) سورة البقرة: من الآية: ٢٠٧.

(٧) سورة التوبة: من الآية: ٤١.

(٨) التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل: حامد العمادي صفحة (٦) (مخطوطة).

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ، إِلَّا اللَّهُ» (١).

وهو فيما يرجع الى الغيب الذي أبهمه الله تعالى كالساعة متى وقوعها واشراطها ومتى ظهورها.

د - وقال أبوطالب الثعلبي التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق والصَّيْب بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأَوَّل وهو الرجوع لعاقبة الامر، فالتأويل إخبارٌ عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» (٢) تفسيره: أنه من الرِّصْد يُقال: رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه» (٣).

ج - تعريف أصول التفسير بمعناه المركب:

وأما (أصول التفسير) اصطلاحاً: فهي القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير وتشمل ما يتعلق بالمفسر من شروط وآداب وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك.

أو هو العلم الذي يُتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في تفسيره.

وهو علم واحد من علوم كثيرة أنشئت لخدمة القرآن الكريم كعلم التجويد والقراءات والرسم وغيرها.

(١) سورة آل عمران: من الآية: ٧.

(٢) سورة الفجر: الآية: ١٤.

(٣) الاتقان: السيوطي، ج: ٢ ص: ١٧٣.

وله صلة وثيقة بعلوم القرآن، فهو من أهمها وأبرزها وقد يطلق على علوم القرآن الكريم (أصول التفسير) من باب إطلاق الجزء على الكل وإظهاراً لمكانته فيها، وسُمِّيَ بأصول التفسير لأنه يُبنى عليها علمُ التفسير حسب قواعده وشروطه.

غاية أصول التفسير:

وغاية هذا العلم ضبطُ التفسير بوضع القواعد الصحيحة والطرق السليمة والمناهج السديدة للتفسير، والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمُفسِّر.

وكما أنَّ غاية التجويد النطق الصحيح لالفاظ القرآن فإن غاية أصول التفسير الفهم الصحيح لمعانيه.

فائدة أصول التفسير:

ولهذا العلم فوائد عديدة ليس من السهل حصرها ومن أهمها:

١ — التزود بالثقافة العالية من المعارف القيمة والتسلح بسلاح العلم والمعرفة للدفاع عن القرآن الكريم ضد الأعداء الذين يبذلون وسعهم لتحريف معاني القرآن والإلحاد فيه.

٢ — معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يُقبل منها وما يُرد ومعرفة من يصلح تلقي التفسير عنه، ومن لا يصح تفسيره للقرآن.

٣ — معرفة القواعد التي تُعينُ على فهم كتاب الله تعالى الفهم الصحيح حتى يَبني المسلمُ عقيدته على قاعدة صحيحة ثابتة.

٤ — الإطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها علماء السلف للمحافظة على

القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ومن ثمَّ الإقتداء بهم في ذلك والسير على نهجهم.

موضوع أصول التفسير:

إعلم أنَّ موضوع كل علم هو الشيء الذي يبحث ذلك العلم عن أحواله العارضة لذاته^(١). وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ أصول التفسير تبحث في علم التفسير من حيث تحديد قواعده وأساسه وشروط تناوله وطرقه ومناهجه وما إلى ذلك. وموضوع علم التفسير هو القرآن الكريم من حيث بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

فضل هذا العلم ومكانته:

لهذا العلم مكانة كبيرة وشرف عظيم ذلك أنَّ شرف العلم من شرف المعلوم وأصول التفسير تبحث في علم التفسير وموضوع هذا العلم هو القرآن الكريم وهو خير الكلام لأنه كلام الله تعالى، فلا عجب أن تكون أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلاً.

(١) الأحكام في أصول الأحكام: الآمدى ج: ١ ص: ٧.

نشأة علم التفسير ومراحله

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبياً بلسان قومه وأن يكون كتابه بلسانهم، قال تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ »^(١).

وظهر محمد صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب وأنزل الله عليه القرآن بلسان قومه اللسان العربي « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »^(٢) وقال تعالى « نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ »^(٣).

وكان القوم عَرَباً خلصا يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غير أنَّ القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك منه ما يوقفه على إعجازه، فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى فإن أشكل عليهم لفظ أو غمض عليهم مرمى ولم يجدوا مَنْ يفسره لهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فبينه لهم. وبهذا نشأ علم التفسير ثم مرَّ بمراحل أبرزها:

المرحلة الأولى: «التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم»
فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

(١) سورة إبراهيم: الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيات: ١٩٣-١٩٥.

وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(١)، كما تكفل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع القرآن في صدره «لَا تُخْرِكُ بِهِ، لَسَانُكَ لِتَعَجَلَ بِهِ» ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»^(٢) ثم كلف الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يبين لهم القرآن وأن يفسره لهم قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^(٣).

ولذا فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أشكل عليهم فهمه من القرآن فيجدون الجواب الشافي.

وقد اختلف العلماء في مقدار ما فسرهُ الرسول صلى الله عليه وسلم من

القرآن إلى قولين:

الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، وهذا قول ابن تيمية وغيره حيث قال: «يجب أن يُعلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقلوه تعالى: «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»^(٢) يتناول هذا وهذا»^(٤).

واستدلوا بأدلة منها:

١ — آية النحل «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^(٥).

(١) سورة الحجر: الآية: ٩.

(٢) سورة القيامة: الآيتين: ١٦—١٧.

(٣) سورة النحل: الآية: ٤٤.

(٤) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية، تحقيق د. عدنان زر زور ص: ٣٥.

(٥) سورة النحل: الآية: ٤٤.

والبيان يتناول الألفاظ والمعاني وكما أنه بيّن ألفاظه كلها فقد بيّن معانيه كلها.

٢ — حديث أبي عبد الرحمن السُّلَمي «حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بها فيها من العمل: فتعلمنا القرآن، والعمل جميعاً»^(١).

٣ — وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا»^(٢) وما ورد أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين ذكره مالك^(٣) قالوا ولو كان المراد مجرد الحفظ لما احتاج إلا لزمن يسير فدلَّ هذا على أنَّ المراد فهم المعاني.

٤ — وقالوا: إنَّ كل كلام المقصود منه فهم معانيه، دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فنٍّ من العلم كالطبِّ والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم^(٤).

الثاني: قالت طائفة: ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُبيِّن لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات واستدلوا بأدلة منها:^(٥).

-
- (١) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٨٠ وقال الاستاذ احمد شاکر: «هذا إسناد صحيح متصل وعُلِّلَ ذلك بأن إيهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثاً مسنداً متصلاً.
- (٢) رواه الامام احمد في مسنده ج: ٣ ص: ١٢٠.
- (٣) الموطأ: مالك بن انس ج: ١ ص: ٢٠٥.
- (٤) لخصت هذه الادلة من مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص: ٣٥—٣٧.
- (٥) اورد هذه الادلة الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون ج: ١ ص: ٥١ وما بعدها.

١ — ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياه جبريل عليه السلام (١). *كما أنزل المصطفى (هذا الحديث فيه علم ولا يخرج به)*

٢ — قالوا إن الله لم يأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتَّصُّص على المراد في الآيات كلها لأجل أن يتفكر عباده في كتابه والعلم بالمراد فيما لم يُنصَّ على معناه يُستنبط بأمارات ودلائل (٢).

٣ — وقالوا لو بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم كُلَّ معاني القرآن لَمَا كان لدعائه لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (٣) فائدة لأن الناس على حَدِّ سَوَاءٍ في تأويله فكيف يخص ابن عباس بهذا الدعاء (٤).

الرأي الرابع:

والذي أراه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين معاني كل الآيات القرآنية لأن:

١ — من الآيات ما يرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب والقرآن نزل بلغتهم ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان.

٢ — ومنها ما يتبادر فهمه إلى الأذهان لظهوره وبيانه فلا يحتاج إلى بيان. مثل «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ» (٥) فالمتبادر تحريم الوطاء ولا يتبادر إلى الذهن وغيره.

٣ — ومنها ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من

(١) رواه الطبري في تفسيره ج: ١ ص: ٨٤ وقال في ص ٨٩ أن فيه علة لا يجوز معها الاحتجاج به.

(٢) انظر الأتقان: السيوطي ج: ٢ ص: ١٧٤-١٧٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج: ١ ص: ٢٦٦ وصححه الألباني شرح الطحاوية ص: ٢٣٤.

(٤) انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج: ١ ص: ٣٣.

(٥) سورة النساء: آية ٢٣.

الامور الغيبية التي لم يُطْلَع الله عليها نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم نفسه فكيف يُبينها لأصحابه وهو لا يعلمها.

٤ — ومن الآيات ما لا فائدة في معرفة أكثر من معناها المتبادر ولا طائل في معرفة ما وراء ذلك مثل معرفة لون كلب أصحاب الكهف وعصا موسى عليه السلام من أي الشجر كانت وأنواع الطيور التي أحيّاها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ومثل هذا لا يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما ذكرت.

وعلى هذا نستطيع الجزم بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر لأصحابه كلّ آيات القرآن الكريم.

كما انه لا يصح القول بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر لأصحابه إلا الآيات القليلة وحديث عائشة رضي الله عنها الذي استدلوا به من رواية محمد بن جعفر الزبيري. وهو حديث مشهور لا يجمع به

قال الطبري: «انه ممن لا يُعرف في أهل الآثار»^(١) وقال ابن كثير (حديث منكر غريب)^(٢). وعلى فرض صحته فقد حمله أبو حيان على مغيبات القرآن وتفسيره لمجمله، ونحوه مما لا سبيل إليه الا بتوقيف من الله تعالى^(٣).

ويكفي في نقض هذا الرأي الروايات الكثيرة في كتب الصحاح المرفوعة للرسول صلى الله عليه وسلم في بيان الكثير وليس القليل من آيات القرآن الكريم.

(١) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٥.

(٣) البحر المحيط: أبو حيان ج: ١ ص: ١٣.

منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير:

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يُطَيَّب في تفسير الآية او يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه، فكان جُلُّ تفسيره صلى الله عليه وسلم بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه.

المرحلة الثانية: «التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم»

ذكرنا آنفاً أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا عَرَباً خُلُصاً يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومراميهِ بمقتضى سليقتهم العربية فهماً لا تُعْغِره عُجْمَةٌ ولا يشوِّهه شيء من قبح الابتداع وتَحَكُّم العقيدة الزائفة^(١).

وإذا خفي عليهم معنى أو دَقَّ عليهم مرمى رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لهم ذلك ووضحه، وإن لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهداهم وكان التفاوت بينهم واضحاً في هذه الرتبة، فكان بعضهم يرجع إلى بعض، إذ التفاوت بينهم راجع إلى التفاوت في قوة الفهم والإدراك، والتفاوت فيما أحاط بالآية من ظروف وملابسات، بل كانوا يتفاوتون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة^(٢) وظهر لآخرين منهم، ولا ضير في هذا فإن اللغة وإن أحاط بها مجموع أهلها فإنه لا يُحيط بها كلُّ فرد من أهلها فقد خفي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه معنى الأب في قوله تعالى « وَفَكَهَنَ وَأَبَّا »^(٣).

(١) التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٦.

(٢) المرجع السابق، ج: ١ ص: ٣٤.

(٣) سورة عبس: الآية: ٣١.

ومعنى التخوف في قوله تعالى «أَوْ يَأْخُذْهُ عَلَىٰ خَوْفٍ»^(١) حتى قال له رجل من هذيل التخوف عندنا التَّنْقُصُ^(٢).

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها»^(٣).

وهذا عدي بن حاتم رضي الله عنه لم يفهم المراد بقوله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ»^(٤) فكان يجعل عند رأسه عقلاً أبيض وعقلاً أسود حتى بين له الرسول صلى الله عليه وسلم المراد^(٥).

ويرجع تفاوتهم في فهم القرآن - كما أشرنا - إلى أمور عديدة منها:

١ — تفاوتهم في أدوات الفهم كالعلم باللغة فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها مُلِمّاً بغريبها، ومنهم دون ذلك.

٢ — وتفاوتهم في ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحضور مجالسه.

٣ — وتفاوتهم في معرفة أسباب النزول وغيرها مما له تأثيره في فهم الآية.

٤ — وتفاوتهم في العلم الشرعي.

٥ — وتفاوتهم في مداركهم العقلية شأنهم شأن غيرهم من البشر، كل هذا وغيره كان من أسباب تفاوتهم في معرفة القرآن وتفسيره، ولذا قال مسروق رحمه الله تعالى: «جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذاً

(٢)

(١) سورة النحل من الآية: ٤٧.

(٢) الموافقات: الشاطبي ج: ٢ ص: ٨٧ - ٨٨.

(٣) الاتقان: السيوطي ج: ١ ص: ١٤٩.

(٤) سورة البقرة: من الآية: ١٨٧.

(٥) انظر صحيح البخاري ج: ٥ ص: ١٥٦.

(يعني الغدير) فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين،
والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا يروي المائة، والإخاذا لونزل به أهلاً
الأرض لأصذرهم»^(١).

وقد تميز تفسير الصحابة رضي الله عنهم بمزايا منها:

١ — قلة الأخذا بالاسرائيليات وتناولها في التفسير لحرصه صلى الله عليه وسلم على اقتصار أصحابه على نبع الإسلام الصافي الذي لم تكدره الأهواء ولم تشبه الاختلافات والافتراءات يدل على هذا المقصد غضبه صلى الله عليه وسلم حين رأى في يد عمر رضي الله عنه صحيفة من التوراة^(٢).

٢ — لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله، إذ أن بعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى خوض في تفسيرها لتضلعهم في اللغة ومعرفتهم بأحوال المجتمع آنذاك وغير ذلك من الأسباب.

٣ — وقد كانوا لا يتكلفون التفسير ولا يتعمقون فيه تعمقاً مذموماً، فقد كانوا يكتفون في بعض الآيات بالمعنى العام ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة كبيرة في تفصيله، فيكتفون مثلاً بمعرفة أن المراد بقوله تعالى «وَفَكَهَةً وَأَبًّا»^(٣) انه تعداد لنعيم الله تعالى على عباده^(٤).

٤ — قلة تدوينهم للتفسير وأن أغلب ما روي عنهم كان بالرواية والتلقين وليس بالتدوين، وإن كان بعض الصحابة يعتني بالتدوين فقد دَوَّنَ عبد

(١) التفسير والمفسرون: الذهبي ج١ ص: ٣٦.

(٢) مسند الإمام احمد: ج٣ ص ٣٨٧ والدر المنثور: السيوطي ج٢ ص ٤٨.

(٣) سورة عبس: الآية: ٣١.

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج: ١٣ ص ٣٧٢.

الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه صحيفته التي يسميها الصادقة ويقول عنها «هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه فيها أحد»^(١).

وهي موجودة في مسند الامام أحمد^(٢) لكن هذا التدوين كان نادراً.

منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير:

يقوم منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير على ثلاثة أسس:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

فإن من آيات القرآن ما جاء مجملاً في موضع وجاء في موضع آخر مبيناً، ومنه ما فيه إيجاز، وما فيه إطناب، ومنه ما فيه عموم وما فيه خصوص، وما فيه اطلاق، وما فيه تقييد، ومثل هذا يُفسَّرُ بعضه ببعض.

فقصص القرآن مثلاً جاءت في بعض المواضع موجزة وجاءت القصة نفسها في موضع آخر مفصلة كقصة آدم وإبليس، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون.

وهذا النوع هو أحسن طرق التفسير كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى^(٣).

الثاني: تفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم:

وإن لم يجد الصحابة رضي الله عنهم تفسير الآية في القرآن رجعوا إلى

(١) الطبقات الكبرى: ابن سعد ص: ١٨٩ قسم ٢ ج ١٧ وتقييد العلم: الخطيب البغدادي ص: ٨٤.

(٢) مسند الامام احمد: من ص: ٢٣٥ ج ٩ والجزئين (١٠) و(١١) بكاملهما وج (١٢) إلى ص: ٥١.

(٣) مقدمة في اصول التفسير ابن تيمية ص: ٩٣.

الرسول صلى الله عليه وسلم فسألوه عنها فبينها لهم لقوله تعالى: « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » (١).

وقد افردت كتب السنة باباً للتفسير بالمأثور ذكرت فيه كثيراً من التفسير النبوي للقرآن الكريم.

والأمثلة على أسئلة الصحابة رضي الله عنهم للرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير كثيرة منها ما رواه أحمد والشيخان (٢) وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ » (٣) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَا لَا يَظْلَمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: أَنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: «يَبْنَى لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكُ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (٤) إنما هو الشرك.

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال: «يَوْمَ النُّحْرِ» (٥).

وما أخرجه أحمد والشيخان (٦) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» قلت: أليس يقول الله: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» (٧)؟! قال:

-
- (١) سورة النحل: الآية: ٤٤.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج: ١ ص: ٣٧٨ ورواه البخاري في صحيحه ج: ٨ ص: ٤٨ ورواه مسلم في صحيحه ج: ١ ص: ١١٤-١١٥.
(٣) سورة الانعام: من الآية: ٨٢.
(٤) سورة لقمان من الآية: ١٣.
(٥) الجامع الصحيح: الترمذي: ج: ٣ ص: ٢٩١.
(٦) مسند الإمام أحمد ج: ٦ ص: ٩١ وصحيح البخاري ج: ٧ ص: ١٩٧. وصحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٢٠٤.
(٧) سورة الانشقاق: الآية: ٨.

ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض .

وغير ذلك كثير من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن، بل كان كثير من تفسيره صلى الله عليه وسلم إبتداء من غير سؤال كما روى مسلم^(١) وغيره عن عُقْبَةَ بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ»^(٢) ألا وإنَّ القوة الرمي .

وما اخرجه احمد ومسلم^(٣) عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكوثر نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة»

الثالث: الاجتهاد والاستنباط:

فإن لم يجد الصحابة رضي الله عنهم التفسير في القرآن ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهدوا لأنهم عرب خُلصَّ شاهدوا التنزيل وحضروا مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذا فيما يحتاج إلى اجتهاد وإعمال ذهن وقد توافرت عندهم أدوات الاجتهاد فهم^(٤):

أولاً: يعرفون أوضاع اللغة العربية وأسرارها وهذا يعينهم على معرفة الآيات التي يتوقف فهمها على فهم اللغة العربية.

(١) صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٥٢٢ .

(٢) سورة الأنفال من الآية: ٦٠ .

(٣) مسند الامام احمد ج: ٣ ص: ٢٣٦ وصحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٠٠-٣٠١ .

(٤) انظر التفسير والمفسرون: تازهيبي ج: ١ ص: ٥٨-٥٩ .

ثانياً: يعرفون عادات العرب وأخلاقهم، وهذا يُعين على فهم ما يتعلق بإصلاح عاداتهم وتهذيب سلوكهم من الآيات كقوله تعالى « إِنَّمَا أَلِيسِيْكُمْ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ »^(١) وقوله « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا »^(٢) ومثل هذا يفهم المراد منه من كان يعرف عادات العرب في الجاهلية.

ثالثاً: معرفتهم بأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن الكريم وهذا يُعينهم على معرفة الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى وما يأتون من أمور وما يُدبرون للمسلمين.

رابعاً: معرفة أسباب النزول فهم الذين شاهدوا التنزيل وحضروا الأحداث والوقائع ومعرفة ذلك تُعين على فهم كثير من الآيات ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسَبَّب^(٣). هــ

خامساً: قوة الفهم والادراك فقد آتاهم الله عقلاً وفهماً جَلَّوْا بِهِ كَثِيراً مِنْ الْأُمُور وهذا أمر معلوم من سيرتهم رضي الله عنهم وبهذه الأمور فَهِمَ الصحابةُ كثيراً من آيات القرآن الكريم التي لم يَرِدْ تفسيرها في الكتاب ولا في السنة.

وهم يتفاوتون في معرفة معاني القرآن حسب تفاوت مداركهم وتحصيلهم وحسب تفاوت قدراتهم العقلية، ولذا يقع بينهم اختلاف في التفسير كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى.

(١) سورة التوبة من الآية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة من الآية: ١٨٩.

(٣) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية، ص: ٤٧.

واشتهر عدد من الصحابة بالتفسير هم: ابوبكر وعمر وعثمان وعلي
وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير بن العوام،
وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الاشعري، وعائشة رضي الله
عنهم اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتهروا بالتفسير وهناك عدد آخر من
الصحابة نُقِلَ عنهم في التفسير نقلا قليلا لم يصل بهم إلى درجة الشهرة
ومنهم أنس وأبو هريرة وابن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهم.

أما أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية في التفسير فأربعة هم:

١ — علي بن أبي طالب .

٢ — عبد الله بن مسعود .

٣ — عبد الله بن عباس .

٤ — أبي بن كعب .

أما علي رضي الله عنه فيرجع السبب في ذلك إلى سعة علمه وتفرغه،
عن مَهَامَ الخلافة مدة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه وتأخر وفاته إلى
زمنٍ كثرت حاجة الناس فيه إلى مَنْ يُفَسِّرَ لهم القرآن لا تساع رقعة
الاسلام وكثرة الداخلين فيه .

أما الثلاثة الباقون فلأنهم أنشأوا ما نستطيع أن نسميه بالمصطلح
الحديث مدارس للتفسير وهي:

١ — مدرسة ابن مسعود في الكوفة:

وابن مسعود رضي الله عنه سادس رجل دخل في الاسلام، وأول من
جهر بالقرآن في مكة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان خادما لرسول

الله صلى الله عليه وسلم وصاحب طهوره وسواكه ونعله ويمشي أمامه إذا سار، ويستتره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، قرأ القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى فاضت عيناه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «من سره أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزلَ فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد»^(١) بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة ليُعَلِّم أهلها وقال لقد آثرتُ أهلَ الكوفةَ بابن أمّ عبد على نفسي إنّه من أطولنا فَوْقًا، كَنيف مُلَى عِلْمًا^(٢) ولما قدم علي بن ابي طالب رضي الله عنه الكوفة قال له أهل الكوفة «ما رأينا رجلاً أحسن خُلُقًا، ولا أرفق تعليمًا ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعًا من ابن مسعود، فقال علي: نشدكم الله، إنه لصدّق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم إنّي أشهدك، اللهم إنّي أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل»^(٣). وقال ابن مسعود عن نفسه «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»^(٤). توفي رضي الله عنه سنة ٣٢.

ومن أشهر تلاميذه مسروق بن الأجدع، وعلقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد، وقتادة بن دعامة السدوسي، وأبو عبد الرحمن السلمي وعمرو بن شرحبيل وغيرهم.

-
- (١) مسند الامام احمد ج: ١ ص: ٧.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج: ٦ ص: ٩ قال في القاموس ص: ١١٨٧ (فاق اصحابه فوقاً وفوقاً: علاهم بالشرف) والكنيف تصغير للكنيف وهو الوعاء.
(٣) الطبقات الكبرى: ابن سعد ج: ٣ ص: ١٥٦.
(٤) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٦ وانظر تفسير الطبري ج: ١ ص: ٨٠.

٢ - مدرسة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في مكة:

وابن عباس هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وأمه لُبابة الكبرى بنت الحارث وخالته ميمونة بنت الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وأُمّ المؤمنين قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه: «نِعَمَ ترجمان القرآن ابن عباس»^(١) وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ابن عباس أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد»^(٢) دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٣)، وقيل لطاوس لزمّت هذا الغلام - يعني ابن عباس - وتركت الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم!! قال: إنّي رأيتُ سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارعوا في أمرٍ صاروا إلى قول ابن عباس^(٤) وتوفي رضي الله عنه سنة ٦٨.

ولمكانة ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير ومنزلته الكبيرة فقد كثر الوضع عليه في هذا الباب.

ومن أشهر تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وطاوس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى بن عباس.

٣ - مدرسة ابي بن كعب رضي الله عنه في المدينة:

وهو من الخزرج من الأنصار شهد العقبة، وبدرًا، وأول من كتب

(١) سير اعلام النبلاء: الذهبي ج: ٣ ص: ٣٤٧ والطبقات الكبرى: لابن سعد ج: ٢ ص:

٣٦٦ والاصابة: لابن حجر ج: ٢ ص: ٣٣٢.

(٢) الاصابة: ابن حجر ج: ٢ ص: ٣٣٢.

(٣) رواه الامام احمد في مسنده ج: ١ ص: ٢٦٦ وصححه الالباني في شرح الطحاوية

ص: ٢٣٤.

(٤) الاصابة: ابن حجر ج: ٢ ص: ٣٣٣.

لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قُدُومِهِ لِلْمَدِينَةِ، وَكَانَ سَيِّدَ الْقُرَاءِ، وَأَحَدَ كُتَّابِ الْوَحْيِ قَالَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ» (١).

وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ «لَزَيْكُنَ الَّذِي سَرَّ كَفَرُوا» قَالَ: وَسَمَانِي لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَى (٢). تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَى عَنْهُ أَبُو الْعَالِيَةِ الرِّيَّاحِيُّ نَسْخَةً كَبِيرَةً فِي التَّفْسِيرِ أَخْرَجَ مِنْهَا ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ كَثِيرًا وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٣).

وَمِنْ أَشْهُرِ تَلَامِيذِهِ أَبُو الْعَالِيَةِ الرِّيَّاحِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ، وَابْنُهُ الطُّفَيْلُ بْنُ أَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ.

حُكْمُ تَفْسِيرِ الصَّحَابِيِّ:

تَفْسِيرُ الصَّحَابِيِّ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

١ — إِذَا كَانَ مِمَّا لَيْسَ لِلرَّأْيِ فِيهِ مَجَالٌ كَالْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَأَسْبَابِ النُّزُولِ وَنَحْوِهَا فَلَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ يَجِبُ الْأَخْذُ بِهِ.

٢ — وَإِذَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَرْجَعُ إِلَى اجْتِهَادِ الصَّحَابِيِّ فَهُوَ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ مَا دَامَ لَمْ يَسْنِدْهُ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْجِبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ج: ٥ ص: ٦٦٥، وَابْنُ مَاجَةٍ ج: ١ ص: ٦٨.

(٢) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ج: ٣ ص: ١٣٠.

(٣) التَّفْسِيرُ وَالْمُفَسِّرُونَ: الذَّهَبِيُّ ج: ١ ص: ٩٣.

الأخذ بموقف الصحابي لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها وليست لغيرهم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن — ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم»^(١).

(جاء في تفسيره)

وقال الزركشي رحمه الله تعالى وهو يعد أمهات مآخذ التفسير «الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله الحاكم في تفسيره»^(٢) وقال في موضع آخر «ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه»^(٣).

المرحلة الثالثة: «التفسير في عهد التابعين رحمهم الله تعالى»:

لم يكن ثمة فارق كبير بين منهج الصحابة رضي الله عنهم ومنهج التابعين فقد تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابة رضي الله عنهم كما أسلفنا.

وكان التابعون يتحرجون من التفسير كما تحرج الصحابة رضي الله عنهم، فهذا سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى كان إذا سُئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع^(٤). وهذا الشعبي يقول: والله ما من آية

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٥.

(٢) البرهان: الزركشي ج: ٢ ص: ١٥٧.

(٣) المجمع السابق، ج: ٢ ص: ١٧٢.

(٤) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص: ١١٢.

إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله^(١). وهذا القول منهم رحمهم الله تعالى محمول على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا عِلْمَ لهم به، فأما من تكَلَّمَ بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه^(٢).

منهج التابعين في التفسير:

يشترك التابعون رحمهم الله تعالى مع الصحابة رضي الله عنهم في أهم أسس التفسير، إلا أنهم نظراً لتلقيهم التفسير عن الصحابة واتساع الفتوحات الإسلامية جَدَّتْ أُسُسٌ أخرى، فمنهج التابعين رحمهم الله تعالى يقوم على:

١ — تفسير القرآن بالقرآن كما مر في منهج الصحابة رضي الله عنهم.
٢ — تفسير القرآن بالسنة النبوية كما مر — أيضا — في منهج الصحابة رضي الله عنهم.

٣ — تفسير القرآن بأقوال الصحابة فإنَّ التابعين رحمهم الله تعالى كانوا يرجعون إلى تفسير الصحابة رضي الله عنهم ويُقدمونه على أقوالهم وهم الذين تلقوا التفسير عن الصحابة وعرضوه عليهم كما قال مجاهد بن جبر «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كُلِّ آية منه وأسأله عنها»^(٣).

٤ — الفهم والاجتهاد فإنَّ لَمْ يجد التابعون التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة اجتهدوا فهم أهل للاجتهاد وهم الذين يعلمون لغة العرب ومناحيهم في القول، وقد تلقوا التفسير عن الصحابة وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم فحق لهم أن يجتهدوا بعد ذلك.

(١) المرجع السابق ص: ١١٣.

(٢) المرجع السابق ص: ١١٤.

(٣) المرجع السابق ص: ١٠٢.

هـ - أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

وذلك أنَّ القرآن الكريم يذكر قصص الأنبياء السابقين والأمم الماضية ذكراً موجزاً ولم يتعرض لتفاصيل هذه الأحداث والقصص، والنفوس تميلُ إلى الإستيفاء والإستقصاء، فلما اتسعت الفتوحات الإسلامية ودخل في الاسلام أمم من أهل الكتاب الذين يعرفون تفاصيل هذه القصص من التوراة والإنجيل صاروا يروون هذا للناس، وصار الناس يُقبلون على سماعها حُباً لسماع تفاصيل القصص والأخبار القرآنية فدخل في التفسير طائفة من هذه الاخبار التي تعرف بالاسرائيليات. واكثر من رويت عنه الاسرائيليات عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن جريج.

مزايا تفسير التابعين رحمهم الله تعالى:

و يتميز تفسير التابعين رحمهم الله تعالى بمزايا عديدة منها:

١ - دخول الاسرائيليات في التفسير.

٢ - لا تساع الفتوحات الاسلامية ودخول كثير من العجم في الاسلام زادت الحاجة إلى تفسير كثير من الآيات التي لم يتناولها الصحابة رضي الله عنهم لظهور معناها عندهم، فزاد التابعون تفسير ما احتاج الناس الى تفسيره، فأتموا التفسير وشمل القرآن كله.

٣ - ظل التفسير في هذا العهد محتفظاً بطابع التلقي والرواية، وان كانت هذه الرواية ذات صبغة خاصة ذلك أنَّ أهل كل مصر ^(بلد) يعنون بشكل خاص بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم فالمكيون عن ابن عباس والمدنيون عن أبيي والعراقيون عن ابن مسعود^(١).

(١) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ١٣١.

٤ — كثرة الخلافات التفسيرية وزيادتها عما كانت عليه في عهد الصحابة فهم قد تناولوا ما اشتمل عليه تفسيرهم وأضافوا إليه آراءهم حسب اجتهادهم ومن ثمَّ زادت الأقوال والتفسيرات في الآية الواحدة.

٥ — ظهرت نواة الخلاف المذهبي فظهرت بعض الآراء التي تحمل في طياتها بذور هذه المذاهب.

٦ — كان التفسير في ذلك العهد مروياً بإسناد كل قول إلى صاحبه ونسبته إليه حتى تُعرَف الأقوال و يُمَيَّز بين قوايها وضعيفها، وصحيحها وسقيمها.

أشهر المفسرين من التابعين:

ومن اشتهر بالتفسير من التابعين:

مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبر، وعطاء، وعكرمة، والحسن البصري، وزيد بن اسلم، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومحمد بن كعب القرظي، وابوالعالية الرياحي، وعامر الشعبي، وغيرهم.

حكم تفسير التابعي:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يرد تفسيرُ لها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم:

فقال طائفة منهم ابن عقيل ورواية عن الإمام احمد وشعبة انه لا يجب الأخذ بتفسير التابعي لأنهم:

١ — ليس لهم سماع من الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يُمكن أن يُحمل تفسيرهم على أنهم سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم كالصحابه.

٢ — أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نَزَلَ عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً.

٣ — أنَّ عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابي، كما نقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنَّه قال: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وما جاء عن أصحابه فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا ونحن رجال نجتهد^(١).

وقالت طائفة: وهم أكثر المفسرين ورواية أخرى عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى: انه يؤخذ بقول التابعي في التفسير إذا لم نجد تفسيرها في السنة ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم وحضروا مجالسهم ونهلوا من علمهم وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، فقد عَرَضَ مُجاهد المصحف على ابن عباس ثلاث مرات يسأله عن كل آية — كما مرَّ — وقتادة بن دعامة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً^(٢). وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها^(٣).

والرأي الراجح: التفصيل كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن أجمعوا على تفسير واحد وَجَبَ الأخذُ به ولا يُرتاب في كونه حجة. وان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على مَنْ بعدهم، ويُرجعُ في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو

(١) فواتح الرحموت بشرح مُسَلَّم الثبوت: ابن عبد الشكور ج: ٢ ص: ١٨٨.

(٢) طبقات المفسرين: الداودي ج: ٢ ص: ٤٣.

(٣) مقدمة في أصول التفسير ابن تيمية، ص: ١١٣.

أقوال الصحابة في ذلك^(١).

(قلت) وهذا مما لا خلاف فيه وإنما الخلاف فيما إذا ورد التفسير عن تابعي ولم يعرف له مخالف من التابعين فهذا مما ينبغي الأخذ به وتقديمه على غيره لما لهم من فضل ومزية على من بعدهم في العلم.

المرحلة الرابعة: «التفسير في عهد التدوين»:

قلنا ان التفسير في المراحل السابقة كان بالرواية والتلقين وإن كان هناك تدوين فهو تدوين قليل تغطي عليه الرواية وتستأثر بالصيغة العامة للمراحل المذكورة.

وقد بدأ عصر التدوين في أواخر القرن الاول الهجري حيث دون الحديث النبوي الشريف بمختلف موضوعاته وأبوابه، ونستطيع أن نقول ان تدوين التفسير مرَّ بمراحل هي:

المرحلة الاولى:

دُوِّنَ فيها التفسير على أنه باب من أبواب الحديث كباب الطهارة وباب الصلاة وباب الزكاة وباب الحج وغيرها ولم يُفرد للتفسير تأليف خاص لا يتناول إلا التفسير سورة سورة وآية آية من أول القرآن إلى آخره.

ومن دون التفسير في هذه المرحلة على أنه باب من أبواب الحديث:

- يزيد بن هارون السلمي ت ١١٧هـ.
 - شعبة بن الحجاج ت ١٦٠هـ.
 - وكيع بن الجراح ت ١٩٧هـ.
 - عبد بن حميد ت ٢٤٩هـ.
- وغیر هؤلاء وتتميز هذه المرحلة بمزايا منها:

١ — كان لهم عناية خاصة بالاسناد.

(١) المرجع السابق، ابن تيمية، ص: ١٠٥.

- ٢ — لم يكن جمعهم للتفسير مستقلاً، بل على أنه باب من أبواب الحديث.
- ٣ — لم يقتصر على التفسير المرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم، بل اشتمل على تفسير الصحابي والتابعي.

المرحلة الثانية:

اصبح التفسير في هذه المرحلة علماً مستقلاً قائماً بنفسه شاملاً لآيات القرآن الكريم وسوره مرتباً حسب ترتيب المصحف.

وقد نصَّ ابنُ تيمية^(١) وابنُ خَلَّكَان^(٢) على أن أوَّل من صَنَّف في التفسير عبد الملك بن جريج (٨٠—١٤٠هـ). وأشهر من ألف في هذه المرحلة:

- ابن ماجة ت ٢٧٣هـ.
 - ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ.
 - ابوبكر المنذر النيسابوري ت ٣١٨هـ.
 - ابن ابي حاتم ت ٣٢٧هـ.
 - ابن حبان ت ٣٦٩هـ.
 - الحاكم ت ٤٠٥هـ.
 - ابن مردويه ت ٤١٠هـ.
- وغير هؤلاء، و يتميز التدوين في تلك المرحلة بـ:
- ١ — أنَّ ما دون فيها كان بالتفسير المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم.

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ج ٢٠ ص: ٣٢٢.

(٢) وفيات الاعيان: ابن خلكان ت محمد محي الدين عبد الحميد ج ٢ ص: ٣٣٨.

٢ — كان التفسير في تلك المرحلة بالإسناد المتصل إلى صاحب التفسير المروي عنه.

٣ — لم تكن لهم عناية بالنقد وتحري الصحة في رواية الاحاديث في التفسير بل ان بعضهم ذكر ما رُوي في كلّ آية من صحيح وسقيم ولم يتحرر الصحة كابن جريج مثلاً^(١) و يرجع السبب في ذلك إلى ذكرهم للإسناد فهم يكتفون بذكر الإسناد عن بيان درجة المروي على حد قول القائل من أسند فقد ابرأ ذمته.

٤ — اتسعت رواية الاسرائيليات فدوّن الكثير منها ضمنّ التفسير.

المرحلة الثالثة:

كانت تلك المرحلة منعطفًا خطيرًا في تاريخ التفسير بدأت حين اتجه بعض المفسرين إلى اختصار الأسانيد ونقلوا الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوها إلى قائلها فاختلط الصحيح بالضعيف وكانت تلك الهفوة من أخطر الهفوات وأوسع الفجوات لنفوذ الأعداء إلى الدين ليضعوا فيه ما لا يرتضيه، ويُتخلوه ما ليس من مبادئه، لولا ان الله هَيَّأ لهذا الأمر من علماء الإسلام من كشف زيف الزائفين ودَسَّ المُغرضين ومَيَّزَ بين الصحيح والسقيم وحفظ الله تعالى لهذه الأمة هذا الدين.

كما ازداد في هذه المرحلة القول في التفسير بالرأي المحمود منه والمذموم وتجروا على القول في القرآن بغير علم، وحرص بعضهم على الإكثار من رواية الأقوال في تفسير الآية الواحدة، فصار كل من يسنح له قول يُورده من غير أن يخطر بباله شيء يَعتمد عليه فيأتي مَنْ بَعْدَهُ فيظن أن

(١) الاتقان: السيوطي: ج: ٢ ص: ١٨٨.

لَمَّا أورد أصلاً غير مُلْتَفِت لصحة ولا باحثاً عن سند^(١).

وتطورت كثيراً رواية الإسرائيليات وتوسعت في استقصاء الأخبار الإسرائيلية والخوض فيما لا فائدة في معرفته واشتغلوا بهذا عن البحث الجاد الأسمى في أمور الدين.

المرحلة الرابعة:

وهذه نتيجة حتمية للمرحلة السابقة فقد انفتح باب التفسير على مصراعيه فدخل منه الغث والسمين، والصحيح والعليل، ولم يزل مفتوحاً إلى يومنا هذا فبعد أن كان التفسير يعتمد على النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين رأيناه في تلك المرحلة يعتمد على التفسير بالرأي وذلك نتيجة لنشأة كثير من الفرق والمِلل والمذاهب في الاسلام فأصبح أصحاب كل مذهب يتجهون إلى آيات القرآن ويفسرونها حسب ما يوافق مذاهبهم ومعتقداتهم كما اعتنى أرباب العلوم بما يوافق علومهم فكان كلُّ مَنْ بَرَعَ في علمٍ من العلوم غَلَبَ ذلك على تفسيره، فالفقيه يكاد يسرد فيه الفقه وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع والرد على المخالفين، كالقرطبي والخصائص والإخباري ليس له هَمٌّ إلا سَرْدُ القصص وإستيفائها.. كالشعلبي. والنحوي ليس له هَمٌّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه كالزجاج والواحدي وأبي حيان.. وصاحب العلوم العقلية ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليهم كالفخر الرازي^(٢).

(١) الاتقان: السيوطي ج: ٢ ص: ١٩٠.

(٢) الاتقان: السيوطي، ج: ٢ ص: ١٩٠.

وهكذا نرى كُلَّ صاحب فن أو مذهب يُفسر القرآن بما يتناسب مع
فنه، أو يوافق مشربه، أو يشهد لمذهبه ولو كان بعيداً كُلَّ البعد عن المقصد
الذي نَزَلَ من أجله القرآن^(١).

تلكم أهمُّ المراحل التي مرَّ بها تدوين التفسير. لكن ينبغي أن ندرك
ان تتابع هذه المراحل لا يعني أنَّ كُلَّ مرحلة منفصلة إنفصالاً تاماً عن
المرحلة السابقة لها أو التالية، بل ظلت كل مرحلة موجودة في المرحلة أو
المراحل التالية لها وقد توجد لها نواة أو بذور في المرحلة السابقة لها أيضاً.

أهم المؤلفات في عصر التدوين:

ليس من السهل ذكر المؤلفات في عصر التدوين الذي امتدَّ من نهاية
القرن الأول وبداية القرن الثاني إلى عصرنا الحاضر، فضلاً عن استقصاء
ذلك وإذا كان الامر كذلك فسنذكر أهم المؤلفات إجمالاً:

فمن أهم المؤلفات في التفسير بالمأثور:

- | | |
|--|----------------------------|
| ١ — جامع البيان في تفسير القرآن | المعروف بتفسير الطبري |
| ٢ — بحر العلوم | لأبي الليث السمرقندي |
| ٣ — الكشف والبيان عن تفسير القرآن | للثعلبي |
| ٤ — معالم التنزيل | للبغوي |
| ٥ — المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز | لابن عطية |
| ٦ — الدر المنثور في التفسير بالمأثور | للسيوطي |
| ٧ — تفسير القرآن العظيم | المعروف بـ«تفسير ابن كثير» |

(١) انظر مناهل العرفان: الزرقاني ج: ١ ص: ٥٠١.

- ٨ — الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي
- ٩ — فتح القدير الشوكاني
- ١٠ — أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي
- ومن أهم المؤلفات في التفسير بالرأي:**
- ١ — الكشف الزمخشري
- ٢ — مفاتيح الغيب الرازي
- ٣ — مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي
- ٤ — لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن
- ٥ — البحر المحيط أبي حيان
- ٦ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل البضاوي
- ٧ — تفسير الجلالين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي
- ٨ — إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود
- ٩ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي
- ١٠ — تفسير المنار محمد رشيد رضا
- ١١ — في ظلال القرآن سيد قطب

اختلاف المفسرين وأسبابه

كان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة واللسان العربي، وإذا أشكل عليهم معنى سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فبيّنه لهم، وكانوا رضي الله عنهم يجتهدون في استنباط معاني ودلالات بعض الآيات القرآنية ويتفاوتون في ذلك نتيجة تفاوتهم في معرفة أسباب النزول وما أحاط بالآيات من أحداث ومُلابسات فضلاً عن تفاوت القُدّرات العقلية شأنهم شأن البشر، ولذا فقد كان يقع بينهم اختلاف في التفسير إلا أن هذا الاختلاف كان قليلاً جداً بين الصحابة لأمر منها:

١ — وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم ورجوعهم إليه إذا وُجد بينهم خلاف، فقد كان يحلوه لهم حتى لا يبقى له أثر.

٢ — أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينهاهم عن ما يؤدي إلى الاختلاف في القرآن كما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أنّ نفرًا كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: ألَمْ يَقُلْ الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألَمْ يَقُلْ الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فكأثماً فقيء في وجهه حبُّ الرُمان فقال: (أبهذا أمرتُم؟ أو بهذا بُعثتُم أن تضربوا كتاب الله بعرضه ببعض؟ إنّما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ههنا في شيء انظروا الذي أمرتُم به فاعملوا به، والذي نُهيئُم عنه فانتهوا عنه»^(١).

٣ — سعة علم الصحابة الشرعي ومعرفتهم للغة العربية وأساليبها ومعانيها

(١) مسند الامام أحمد: ج٢: ص ١٩٦ ورجاله ثقات.

مما يَسَّرَ لهم معرفة كثير من الآيات بمقتضى اللسان العربي .
٤ — تأثيرُ العَصْرِ عليهم ، فإنَّ للعصر تأثيره على أبنائه ومن المعلوم أنَّ عصر الصحابة هو خير العصور ، ولذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم وكُلَّمَا كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر » (١) .

ولهذا نرى الاختلاف يزداد والرقعة تتسع كلما امتد الزمان .
ومع قلة الاختلاف بين الصحابة في تفسير القرآن الكريم ، فإن أغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التضاد وهو أيسر أنواع الاختلاف .

أنواع اختلاف التنوع:

ونستطيع أن نُرجِعَ اختلاف السلف في التفسير إلى أنواع معدودة منها:
أولاً: أن يُعَبَّرَ كُلُّ واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المُسَمَّى غير المعنى الآخر مع اتحاد المُسَمَّى . ومثال ذلك تفسير « الصراط المستقيم » فقد قال بعضهم هو القرآن وقيل الإسلام وقيل هو السنة والجماعة وقيل العبودية وقيل طاعة الله ورسوله ، فهذه الأقوال كلها تدل على ذات واحدة ، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها (٢) .

(١) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص : ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٤١ — ٤٣ .

الثاني: أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه.

ومثال ذلك: ما نُقِلَ في قوله تعالى «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» (١).

فمن المفسرين من قال السابق الذي يُصَلِّي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصل في أثنائه والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الإصفرار ومنهم من قال: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع، ومنهم من قال السابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا وأمثال هذه الاقوال (٢).

فكل قول من هذه الأقوال إنما يذكر نوعاً مما يتناوله نص الآية لتعريف المستمع وتنبيهه على نظائره ولا يُضاد ما ذكره غيره.

الثالث: ما يكون فيه اللفظ محتملاً للأمرين:

ومثاله لفظ «قسورة» فإنه يُراد بها الرامي، ويُراد بها الأسد ولفظ «عسعس» يُراد به إقبال الليل، وادباره، ولفظ «القرء» يُراد به الحيض والطهر.

(١) سورة فاطر. الآية: ٣٢.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٤٣-٤٤.

الرابع : أن يُعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة :
ومثاله أن يفسر أحدهم قوله تعالى : «أَنْ تُبْسَلَ»^(١) بـ«تُحْبَسَ» ويقول
الآخر «تُرْتَهَنَ» ونحو ذلك .

وكل هذه الأنواع من اختلاف التنوع وليست من اختلاف التضاد، وهو
اختلاف لا ضرر فيه قال الزركشي : «يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم
ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أنَّ
في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر
مَعْنَى ظهر من الآية، وإنَّما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه
أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يُجِبُّ عن الشيء بلازمه ونظيره،
والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يُؤَلِّ إلى مَعْنَى واحد غالباً والمراد الجميع،
فليتفطن لذلك، ولا يُفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات كما قيل :
عبارتنا شتى وحسنك واحدٌ وكلُّ إلى ذاك الجمال يُشِيرُ»^(٢)

أسباب الاختلاف :

ولاختلاف السلف في التفسير أسباب كثيرة^(٣) منها :
أولاً : أن يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على حسب
قراءة مخصوصة .

مثال ذلك : ما أخرجه ابن جرير الطبري^(٤) عن مجاهد في تفسير قوله

(١) من قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ٧٠ : الأنعام .

(٢) البرهان : الزركشي جـ : ٢ ص : ١٥٩ - ١٦٠ .

(٣) انظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : وهو تفسير ابن جزي جـ ١ ص ١٥ وللدكتور سعود
الفنيسان كتاب هو (اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره) وهو أطروحته للماجستير .
(مطبوع) .

(٤) تفسير ابن جرير الطبري : جـ : ١٤ ص : ٩ .

تعالى: «وَلَوْ فَخَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ» (١).

أنَّ معنى «سُكِّرَتْ»: سُدَّت. ثم أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: سُكِّرَتْ بمعنى: أُخِذَتْ وَسُجِّرَتْ (٢) ثم أوردَ قولَ قتادة (٣) من قرأ «سُكِّرَتْ» مشددة يعني سُدَّت ومن قرأ «سُكِّرَتْ» (٤) مخففة فانه يعني سحرت.

ومثاله أيضا: ما أخرجه ابن جرير الطبري (٥) عن الحسن في تفسير قوله تعالى «سَرَّابُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ» (٦) أنَّ القطران الذي تُهْتَأُ به الإبل، وروى عن ابن عباس وغيره (٧) أنَّه النحاس المُذاب فمن قرأ «قَطْرَانٍ» قال بالتفسير الأول، ومن قرأ «قَطْرِيَّانٍ» (٨) قال بالتفسير الثاني، فالاختلاف يرجع إلى الاختلاف في القراءة.

ومثاله أيضا: الاختلاف الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى «أَوَلَمْ تَسْمِعُوا لِلنِّسَاءِ» (٩) هل هو الجماع أو اللبس باليد، فقد

(١) سورة الحجر: الآيتان: ١٤-١٥.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ج: ١٤ ص: ١٠.

(٣) المرجع السابق ج: ١٤ ص: ١٠.

(٤) قرأ ابن كثير (سُكِّرَتْ) بالتخفيف، وشَدَّده الباقون، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكِّي بن أبي طالب القيسي ج: ٢ ص: ٣٠.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري ج: ١٣ ص: ١٦٨.

(٦) سورة إبراهيم، من الآية: ٥٠.

(٧) تفسير ابن جرير الطبري ج: ١٣ ص: ١٦٨.

(٨) قال ابن جرير ج: ١٣ ص: ١٦٨ وبهذه القراءة — أعني — بفتح القاف وكسر الطاء وتصيير ذلك كله كلمة واحدة قرأ ذلك جميع قراء الأمصار وبها نقرأ لإجماع الحجة من القراء عليه وقد روي عن بعض المتقدمين أنَّه كان يقرأ ذلك من قَطْرِيَّانٍ بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيير آن من نعته.

(٩) سورة النساء: من الآية: ٤٣.

روى ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس انه الجماع^(١) وروى عن غيره أنه اللمس باليد^(٢) فمن قرأ «لامستم» قال انه الجماع ومن قرأ «لمستم»^(٣) قال انه اللمس باليد.

ثانياً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في وجوه الإعراب ولا شك أنَّ للإعراب تأثيره في المعنى فليس بين الفاعل والمفعول به مثلاً إلا الضبط بالشكل، و يكفر من لَحَن مُتَعَمِّداً في قوله تعالى «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ»^(٤) لو قرأها بكسر اللام من (رسوله) وكذا قوله تعالى «هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ» لو قرأها بفتح الواو من المصور، وها أنت ترى أنه ليس بين الكفر والإيمان إلا حركة واحدة، كل هذا يدل على ما للإعراب من تأثير في المعاني.

ومثال الاختلاف في الإعراب، اختلافهم في قوله تعالى «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ»^(٥) فقد اختلفوا في «والراسخون» فقليل عطف نَسَقَ على اسم الله عز وجل وقيل هم مرفوعون بالإبتداء والخبر في قوله تعالى «يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ»^(٦).

ثالثاً: وقد يكون سببه الاختلاف في المراد باللفظ لاحتماله أكثر من معنى:

أما بسبب الاشتراك اللغوي، بمعنى أنَّ الكلمة بحكم وضعها لغة

(١) تفسير ابن جرير بتحقيق احمد ومحمد شاكر ج: ٨ ص: ٣٨٩.

(٢) المرجع السابق ج: ٨ ص: ٣٩٤.

(٣) قرأ حمزه والكسائي (أو لمستم) بغير الف، وقرأ الباقون «أو لامستم» بالف. انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: لمكي بن ابي طالب ج: ١ ص ٣٩١-٣٩٢.

(٤) سورة التوبة. من الآية: ٣.

(٥) سورة آل عمران : من الآية: ٧.

(٦) المُكْتَفَى فِي الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ: لِأَبِي عَمْرٍو الدَّانِي ص: ١٩٧.

تُستعمل لمعنيين مختلفين فيُفسرها أحد العلماء بأحد المعنيين و يُفسرها آخر بالمعنى الثاني، وكلا التفسيرين جائز وصحيح ما لم يُقَمَّ دليل على أحد المعنيين. كلفظ «قسورة» الذي يُطلق على (الرامي) وعلى (الأسد) ولفظ «عسّس» الذي يُراد به إقبال الليل وإدباره ولفظ (الجون) يطلق على الأسود وعلى الأبيض ولفظ (النكاح) يطلق على العقْد و يطلق على الوطاء، ولفظ القرء يُراد به الحيض و يُراد به الطهر.

وكما يقع الاشتراك اللفظي في الأسماء والأفعال، فإنه يقع في الحروف كحرف (مِنْ) فإنه يأتي لابتداء الغاية كقوله تعالى «سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْسَ لَمَنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا» الآية (١) وللتبعض كقوله تعالى «لَنَنَالُوا الْبِرْحَتَ نُنْفِئُ أَمْمًا مَّجْبُوتًا» (٢) وللسببية كقوله سبحانه «مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا» (٣). وللجنس كقوله عز وجل «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» (٤).

ولما استعمل القرآن الكريم هذه الالفاظ المشتركة ونحوها كانت سببا لاختلاف العلماء في التفسير.

واقفاً لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر في قوله تعالى «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» (٥) وكأسماء الجنس مثل «وَالْفَجْر» و«وَالشَّفْع» و«وَالْوَتْر» و«وَالْيَالِ

(١) سورة الاسراء: من الآية الاولى.

(٢) سورة آل عمران: من الآية: ٩٢.

(٣) سورة نوح: من الآية: ٢٥.

(٤) سورة الحج: من الآية: ٣٠.

(٥) سورة النجم: الايتين ٨ و ٩.

عَشْرِ»^(١) وما أشبه ذلك فمثل هذا قد يجوز أن يُراد به كُلُّ المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك^(٢) .

رابعاً: ومن أسباب الاختلاف احتمال الإطلاق والتقييد في الآية: والمُطلق هو: ما دَلَّ على الماهية بلا قيد^(٣) .

والمُقَيَّد هو: ما دَلَّ على الماهية بقيد. كالدِّم المقيد بالسَّفْح في قوله تعالى « أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا »^(٤) .

ومن المعلوم أنه يجب حَمْلُ المُطلق على المُقَيَّد إذا وُجِدَ دليل يقتضي التقييد، ويقع الخلاف بين السلف في هذا الدليل فتراه طائفة فيحملون المُطلق على المُقيد، ولا تراه أخرى فيُبْقُون المُطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده.

ومثال ذلك عتقُ الرقبة في الكفارات، فقد وردت مقيدة في كفارة القتل الخطأ بالرقبة (المؤمنة) قال تعالى « وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ »^(٥) ووردت مُطلقة في كفارة الظهار قال تعالى: « وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّسِمَاسَا »^(٦) ووردت مطلقة أيضاً في كفارة اليمين قال تعالى: « لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ »^(٧)، فالرقبة في كفارة الظهار واليمين مطلقة

(١) سورة الفجر: الآيات ١-٣.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٤٩-٥٠.

(٣) الاتقان في علوم القرآن: السيوطي ج: ٢ ص: ٣١.

(٤) سورة الانعام: من الآية: ١٤٥.

(٥) سورة النساء: من الآية: ٩٢.

(٦) سورة المائدة: من الآية: ٨٩.

(٧) سورة المجادلة: من الآية: ٣.

تشمل المؤمنة والكافرة، وفي كفارة القتل الخطأ مقيدة بالإيمان، فقالت طائفة بحمل المطلق على المقيد فلا تجزئ عندهم الرقبة الكافرة في الظهار واليمين، بل لابد من رقبة مؤمنة كما هي في كفارة القتل الخطأ.

وقالت طائفة أخرى لا يُحملُ المطلق على المُقَيَّد إلا بدليل ولا دليل هنا فيبقى المطلق على إطلاقه فيجوز عتق الرقبة الكافرة في كفارة الظهار واليمين.

خامسا: ومن أسباب الاختلاف العموم والخصوص

والعام هو اللفظ الواحد الدال على مُسمَّين فأكثر في وقت واحد (١) ومثاله قوله تعالى «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» (٢).

فلفظ السارق وكذا السارقة عام يشمل كُلَّ مَنْ سَرَقَ أو سَرقت من غير حصر في عدد مُعين ومن غير تخصيص.

والفرق بين العموم والاشتراك اللفظي أنَّ المشترك لفظ واحد يطلق على مسمين فأكثر إلا أنَّه ليس في وقت واحد فالعين تطلق على الباصرة، والحسد، وعين الماء، لكن هذا الإطلاق ليس في وقت واحد فإمَّا يُراد بها هذا أو ذاك اما السارق فيطلق على أكثر من واحد في وقت واحد.

والخاص هو اللفظ الواحد الدال على مفرد معين، ومثاله لفظ «المائة» في قوله تعالى «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» (٣).

(١) الاحكام في اصول الاحكام: الآمدي ج: ٢ ص: ١٩٦.

(٢) سورة المائدة: من الآية: ٣٨.

(٣) سورة النور: من الآية: ٢.

ولفظ الثمانين في قوله تعالى «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَاتَّبِعُوهُنَّ تَمَنِينَ جَلَدٌ»^(١). فهذه الأعداد تدل على العدد المعين الذي وضعت له لا يشترك معها فيه معنى آخر.

ومن أمثلته أيضاً الركوع والسجود المشار إليهما في قوله تعالى «ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا»^(٢) فَإِنَّ دلالة اللفظ عليهما قطعية لا يَحْتَمِلُ معنى آخر غير المعنى المراد.

وقد يُستعمل اللفظ العام محل الخاص حسب ما يقتضيه الحال كقوله تعالى «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»^(٣).

فالناس الأولى عامة والمراد بها خاص وهو نعيم بن مسعود، والناس الثانية عامة لكن المراد بها أبو سفيان وأصحابه.

والعموم والخصوص من أسباب الاختلاف بين المفسرين، فقد يختلفون في عموم لفظ أو خصوصه كاختلافهم في عموم أو خصوص قوله تعالى: «وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ»^(٤) فقول: إن لفظ المشركات عام يشمل الوثنيات والكتايبات. وقيل: خاص بالوثنيات. وعلى القول الأول فإن قوله تعالى: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»^(٥) مخصص لهذه الآية، وعند الآخرين غير مخصص لأنه لا يشمل الكتايبات أصلاً.

سادساً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الحقيقة والمجاز:

والحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له^(٦) والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له على وجه يصح مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي^(٧).

(١) سورة النور: من الآية: ٤. (٢) سورة الحج: من الآية: ٧٧.

(٣) سورة آل عمران: من الآية: ١٧٣. (٤) سورة البقرة: من الآية: ٢٢١.

(٥) سورة المائدة: من الآية: ٥.

(٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني، ص: ٢١.

(٧) شرح العقائد النسفية: التفازاني ص: ١٧١.

وقد وقع اختلاف بين العلماء في وقوع المجاز فقالت بوقوعه طائفة وأنكرته أخرى.

ومثاله اختلاف العلماء في تفسير قوله تعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى»^(١)، فقد قال الحسن والكلبي في تفسيرها: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار، وقال سهل بن عبد الله: أضحك المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط^(٢) وهذا التأويل وذاك بالمعنى الحقيقي للضحك والبكاء. وقال الضحاك: (أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر)^(٣) وهذا تأويل بالمعنى المجازي.

ومنه - أيضاً - فهم ذلك الصحابي للخيوط في قوله تعالى: - «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود»^(٤) بمعناه الحقيقي حيث وضع عند رأسه عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود حتى بين له الرسول صلى الله عليه وسلم أن المراد بهما بياض النهار وسواد الليل.

ومنه ما ورد في صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى في وصف امرأة أبي لهب «حَمَلَةَ الْخَطَبِ»^(٥) حيث روى عن مجاهد قوله: «حمالة الخطب: تمشي بالنميمة»^(٦) وقال سعيد بن جبير: «حمالة الخطايا والذنوب»^(٧) وهذان على المعنى المجازي. وفسره بعضهم بالمعنى الحقيقي لحمل الخطب فليل في النار، وقيل: إنها كانت تحمل الغضى والشوك فتطرحه في الليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن أنس ومرة الهمداني^(٨).

سابعاً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الإضمار والإظهار:

وبيان ذلك أن المراد قد يكون ظاهراً لا لبس فيه ولا اختلاف كقوله تعالى «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ»^(٩) فَإِنَّ فاعل المجيء ظاهر لا لبس فيه، وكذا فاعل التكليم.

ويختلف المفسرون أحياناً في مرجع الضمير إذ كان الفاعل مضمراً

(١) سورة النجم: الآية: ٤٣. (٢) فتح القدير: الشوكاني: ج ٥ ص: ١١٦.

(٣) سورة البقرة: من الآية: ١٨٧. (٤) سورة المسد: من الآية: ٤.

(٥) صحيح البخاري: ج ٦ ص: ٩٥ وهو قول قتادة السدي أيضاً (فتح القدير: ج ٥ ص: ٥١٢).

(٦) فتح القدير: الشوكاني: ج ٥ ص: ٥١٢. (٧) سورة الأعراف: من الآية: ١٤٣.

نحو قوله تعالى «مُمَّ دَنَا فَذَلَكُنَّ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»^(١).

ف قيل هو جبريل عليه السلام وهو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذرّ وأبي هريرة رضي الله عنهم، وقيل دنا الربّ من محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم^(٢).

ثامناً: ومن أسباب اختلاف المفسرين النسخ والإحكام:

ومن أمثلة الاختلاف في القول بالنسخ اختلافهم في قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»^(٣).

فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ما يدل على أنها مُحْكَمَةٌ وأنَّ المراد أنها نزلت في اشتباه القبلة^(٤) وروى ابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على أنَّها مُحْكَمَةٌ وأنَّ المراد بها صلاة التطوع^(٥) وعلى كلا القولين فإنَّها مُحْكَمَةٌ غير منسوخة وهو - أيضاً - قول سعيد بن المسيب وعطاء والشعبي والنخعي^(٦).

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها منسوخة، فقد روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نُسخ من القرآن - فيما ذُكِرَ

(١) سورة النجم: الآيتين: ٨ - ٩.

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٤ ص: ٢٦٦، وانظر تفسير الطبري جزء ٢٧ ص: ٢٦.

(٣) شرح الكوكب المنير: الفتوح الحنبلي ص: ٢٥٤. (٣) سورة البقرة: من الآية: ١١٥.

(٤) روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصابتنا ظُلُمَةٌ فَلَمْ نَعْرِفِ الْقِبْلَةَ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الْقِبْلَةُ هَاهُنَا فَصَلُّوا وَخَطُّوا خَطًّا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَاهُنَا، فَصَلُّوا وَخَطُّوا خَطًّا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْخَطُوطُ لغيرِ الْقِبْلَةِ، فَلَمَّا قَفَلْنَا مِنْ سَفَرِنَا سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَسَكَتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» نَوَاسِخُ الْقُرْآن: ابن الجوزي ص: ١٣٩ والحديث رواه الدارقطني في سننه جزء ١ ص: ٢٧١ والبيهقي في سننه جزء ٢ ص: ١٠.

(٥) روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وهو مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهَهُ، قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ: «فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» رواه مسلم جزء ١ ص: ٤٨٦.

(٦) نَوَاسِخُ الْقُرْآن: ابن الجوزي ص: ١٤٠.

لنا والله أعلم — شأن القبلة، قال: « وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ »^(١). فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق، ثم صرفه الله إلى البيت العتيق فقال: « سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ »^(٢). يعنون بيت المقدس، فنسخها وصُرفَ إلى البيت العتيق فقال: « قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ »^(٣).

تاسعا: ومن أسباب اختلاف المفسرين في تفسير الآية:

الاختلاف في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد يبلغ أحدهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يبلغ الآخر فيختلف تفسير كل مفسر عن الآخر. ومثاله في قوله تعالى « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا »^(٤) وقوله تعالى « وَأُولَئِكَ الْأَتْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ »^(٥)، فقد استند علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلى هاتين الآتين في أنَّ المرأة التي توفي عنها زوجها تعتد بأربع الأجلين.

أما ابن مسعود رضي الله عنه فقد قال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية أنزلت في سورة النساء القصص^(٦) نزلت بعد الأربعة الأشهر ثم قال: «أجل»

(١) سورة البقرة: من الآية: ١١٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية: ١٤٢.

(٣) سورة البقرة: من الآية: ١٤٤.

(٤) سورة البقرة: من الآية: ٢٣٤.

(٥) سورة الطلاق: من الآية: ٤.

(٦) هي سورة الطلاق.

الحامل أَنْ تَضَعَ مَا فِي بطنِهَا» (١).

ويشهد لابن مسعود رضي الله عنه حديث سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ فَقَدْ تُوفِّيَ عنها زوجها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تَنْشُبْ أَنْ وضعت حملها بعد وفاته، فلما تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلخُطَّابِ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك فقال لها مالي أراك مُتَجَمِّلَةً؟ لعلك ترجين النكاح، إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ، حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، جَمَعْتُ عَلِيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَأَتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وضعت حَمْلِي وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوِجِ إِنْ بَدَأَ لِي» (٢).

وقد رجع عليٌّ وابن عباس رضي الله عنهما عن قولهما بعد أَنْ بلغهما حديث سُبَيْعَةَ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَابْنَ عَبَّاسٍ اجْتَمَعَا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُمَا يَذْكُرَانِ الْمَرْأَةَ تَنْفُسُ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بَلِيَالٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَدَّتْهَا آخِرُ الْأَجَلِينَ وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ قَدْ حَلَّتْ، فَجَعَلَا يَتَنَازَعَانِ ذَلِكَ قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي (يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ) فَبِعَثُوا كُرْبِيًّا (مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ) إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا عَنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: إِنَّ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ نَفَسَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بَلِيَالٍ وَأَنَّهَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ (٣).

تلكم أهم أسباب اختلاف المفسرين في التفسير وهناك أسباب أخرى غيرها و يكفيننا منها ما ذكرنا والله أعلم.

(١) تفسير الطبري: ج ٢٨ ص: ٩٢-٩٣.

(٢) صحيح مسلم ج: ٢ ص: ١١٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص: ١١٢٣.

أساليب التفسير

يتداول كثير من الباحثين في أصول التفسير ومناهجه بعض المصطلحات الحديثة في علم التفسير ومنها:

١ - الاتجاه.

٢ - المنهج.

٣ - الأسلوب أو الطريقة.

والحقيقة أنَّ تلكم الكلمات الثلاث مصطلحات حديثة لا تكاد تجد لها ذاكراً عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الحديث لا تكاد تجدهم يتفقون على معنى واحد لكل منها، ولهذا ترى كثيراً منهم يُعبّر بهذه الكلمة مرة وبالأخرى مرة عن مدلول واحد، وترى آخرين منهم يذكرون تعريفاً لكل مصطلح منها، ويذكر غيرهم غيره.

والذي أراه أنَّ:

الاتجاه: هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون.

أما المنهج فهو السبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم.

وأما الطريقة فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه.

وأضرب للتوضيح مثلاً: جماعة يريدون السفر إلى مدينة واحدة، فانطلقوا واتجاههم تلكم المدينة، لكنهم سلوكوا مناهج مختلفة، منهم من سلك المنهج البري الأول، ومنهم من سلك المنهج الثاني، ومنهم من سافر

جَوًّا ومنهم من سافر بحراً وغير ذلك، وهذه كلها مناهج لاتجاه واحد.

أما الطريقة فتظهر حيث أن أَحَدَ هؤلاء اتجه اتجاهًا مباشراً إلى الهدف، وجعل آخرون سَفَرَهُم سياحة فلا يمرون باستراحة إلا واستراحوا فيها، ولا يمرون بمدينة أو بقرية إلا ويتجولون فيها، ولا يمرون بروضة أو حديقة إلا ويقصون سحابة يومهم فيها، ولا يمرون بوادٍ أو بجبلٍ إلا ويملأون النظر من تأمله، يفعلون هذا وهم سائرون على المنهج المؤدي إلى الاتجاه المراد لا يخرجون عنه بعيداً.

فإن شئت تطبقه على التفسير فيبان ذلك أنَّ الهدف أو (الاتجاه) قد يكون مسائل العقيدة وتقريرها و بسط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا، ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير، فيكون الاتجاه لهذه التفاسير (الاتجاه العقدي).

و يسلك كلُّ واحد من هؤلاء المفسرين سبيلاً خاصاً لتقرير العقيدة فيسلك أحدهم أصول عقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) فيكون منهجه «منهج أهل السنة والجماعة» و يسلك آخر أصول عقيدة الشيعة فيكون منهجه «منهج الشيعة» و يسلك ثالث أصول المعتزلة فيكون منهجه «منهج المعتزلة» و يسلك رابع أصول الصوفية فيكون منهجه «منهج الصوفية» وهكذا.

وقد تختلف طرق هؤلاء في التفسير، بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد، فيبدأ أحدهم بالنص أولاً، ثم بيان المفردات ثم المعنى الاجمالي للآيات، ثم يستخرج أحكامها ويتتبع الآيات واحدة واحدة حسب ترتيبها في المصحف، ويختلف آخر فيذكر النصَّ أولاً، ثم يمزج بين

المفردات والمعنى الاجمالي للنص، ويختلف ثالث فيجمع الآيات المتفرقة التي تتناول قضية واحدة فيتناولها بالتفسير من غير مراعاة لترتيبها في المصحف فعنايته بالموضوع لا بالترتيب، وقد يقتصر المفسر على رأيه وقد يورد آراء المفسرين و يقارن بينها، ثم يختار ما يراه الأصح منها، وهذا كله ما نقصده بطريقة المفسر أو أساليب التفسير^(١).

ولعله — بعد هذا — قد اتضح الفرق بين المصطلحات الثلاثة (الاتجاه) (المنهج) (الأسلوب) وإذا كان الامر كذلك فإن ما يعيننا هنا هو بيان أساليب التفسير.

وللمفسرين في التفسير أساليب أربعة هي:

١ — التفسير التحليلي.

٢ — التفسير الإجمالي.

٣ — التفسير المُقَارِن.

٤ — التفسير الموضوعي.

أولاً: التفسير التحليلي:

وهو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، و يبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.

و يتميز هذا الأسلوب بمزايا منها:

١ — أنه أقدم أساليب التفسير فقد كان التفسير في نشأته الأولى يتناول

(١) انظر كتابي «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» ج: ١ ص: ٢٢—٢٣.

الآيات المتتابة ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها وبيّن هذا عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — بقوله: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن^(١).

وروى أبو عبد الرحمن السلمي — رحمه الله تعالى: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يُخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(٢). وهي الطريقة التي تلقى التابعون بها التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها^(٣)».

٢ — أنّ هذا الأسلوب هو الغالب على المؤلفات في التفسير وأشهر التفاسير وأهمها قديماً وحديثاً ألّفت على هذا الأسلوب كتفسير الطبري، والخازن، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والشوكاني، وابن كثير، وغيرهم.

٣ — يتفاوت المفسرون في هذا اللون من التفسير بين الإيجاز والإطناب فمن التفاسير ما جاء في مجلد واحد بما فيه النص القرآني الكريم كله، ومنها ما جاء في أكثر من ثلاثين مجلداً.

٤ — يظهر التباين جلياً بين المفسرين — في هذا الأسلوب — من حيث الاتجاهات والمناهج فمنهم من التزم في تفسيره بالتفسير بالمأثور والنقل عن

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج: ١ ص: ٨٠ وقال أحمد شاكر (هذا اسناد صحيح).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج: ١ ص: ٨٠ وقال أحمد شاكر (هذا حديث صحيح متصل).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج: ١ ص: ٩٠.

أئمة السلف والإلتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من التزم بمنهج المذاهب الأخرى ، ومنهم من أفسح لنفسه فتوسع في التاريخ والقصص والإسرائيليات ومنهم من اعتنى بالبلاغة ووجوه البيان ومنهم من توسع كثيراً في آيات الأحكام ومنهم من اعتنى بالآيات الكونية والتفسير العلمي ومنهم من استطرد في المسائل النحوية ومنهم من توسع في علم الكلام والفلسفة ومصطلحات الصوفية.. وغير ذلك.

وهذا اللون من التفسير وإن جمع بين مناهج عدّة يُسمّى (التفسير التحليلي) الذي يعتمد على وحدة الآية^(١).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وهو الأسلوب الذي يعمد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معاني الجمل فيها متبعاً ما ترمي إليه الجمل من أهداف و يصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمها وتوضح مقاصدها للقارئ والمستمع.

وبعبارة أخرى التفسير الإجمالي هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورة سورة إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً مبرزاً مقاصدها، موضحاً معانيها، مظهراً مراميها، ويجعل بعض «ألفاظ» الآيات رابطاً بين النص وتفسيره فيورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبتعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب اللفاظ وعباراته ومُشعراً بما انتهى إليه في تفسيره من النص^(٢).

(١) دراسات في التفسير الموضوعي: د. أحمد جمال العمري ص ٤٠.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: للمؤلف ج: ٣ ص: ٨٦٢.

والتفسير الإجمالي أشبه ما يكون بـ«الترجمة المعنوية» التي لا يلتزم المترجم فيها بالألفاظ وإنما يقصد إلى بيان المعنى العام وقد يضيف إليه ما تدعو الضرورة إليه كسبب نزول، أو قصة، ونحو ذلك.

وأكثر من يستعمل هذا اللون من التفسير المتحدثون في الإذاعة والتلفاز لمناسبتهم لمدارك عامة الناس وعدم خوضه في مباحث أو مسائل تعلو على أفهامهم ويُستعمل — أيضاً — كمقدمة توضيحية لبعض تسجيلات التلاوة لإعطاء المستمع فكرة عامة ليسهل عليه فهم ما سُتلى من النص القرآني الكريم.

ومن أمثلة المؤلفات بهذا الأسلوب من التفسير:

- ١ — تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن سعدي.
- ٢ — التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري.
- ٣ — تفسير الأجزاء العشرة الأولى: محمود شلتوت. وغيرها.

ثالثاً: التفسير المقارن:

وهو الذى يعتمد المفسر فيه إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوصاً قرآنية أخرى، أو نصوصاً نبوية (أحاديث)، أو للصحابة، أو للتابعين، أو للمفسرين، أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يُقارن بين هذه النصوص، و يُوازن بين الآراء، ويستعرض الأدلة، و يبين الراجح و ينقض المرجوح.

وبهذا يظهر أنَّ مجال هذا الأسلوب أوسع، وميدانه أفسح وأنَّ له وجوهاً متعددة للمقارنة، منها:

- ١ — المقارنة بين نص قرآني ونص قرآني آخر اتفاقاً أو ظاهره الاختلاف ومن هذا النوع علم تأويل مشكل القرآن، والمؤلفات فيه معلومة. وقد

تكون المقارنة بين النصين القرآنيين لإبراز معاني لا يُوصل إليها أحد النصين، إذ أن أحدهما مكمل للآخر، فقد تختلف العبارة بين النصين إيجازاً وإطناباً، أو إجمالاً وبياناً، أو عموماً وخصوصاً^(١) وغير ذلك، وقد يظهر ذلك جلياً في جانب القصص القرآني حيث أن جمع نصوص القصة الواحدة في القرآن يؤدي إلى تكامل القصة وترابط الأحداث.

فضلاً عن أن المفسر يستنبط الأسباب ويكشف عن الأسرار والحكم التي من أجلها كان الاختلاف بين التعبيرين، والمغايرة بين الأسلوبين، بلفظ مرة وبآخر أخرى، وبصيغ مختلفة^(٢).

٢ — المقارنة بين نص قرآني وحديث نبوي يتفق مع النص القرآني أو ظاهره الإختلاف كذلك^(١)، ويبحث العلماء ذلك في المؤلفات في مشكل القرآن ومشكل الحديث أيضاً.

٣ — وقد تكون المقارنة بين نص قرآني وبين نص في التوراة، أو نص في الإنجيل لإظهار فضل القرآن، ومزيّته، وهيئته على الكتب السابقة. وكشف وجوه التحريف والتبديل فيها، فيما وقع فيه اختلاف، وتوضيح المعنى القرآني وجلاء بعض معانيه وتكملة المشهد الذي يتناوله النص القرآني فيما وقع الاتفاق فيه بين القرآن والكتب السابقة.

والمؤلفات على هذا الأسلوب أيضاً كثيرة وأغلبها حديث مثل (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) لموريس بوكاي.

(١) انظر الأمثلة على ذلك في مبحث (طرق التفسير) تفسير القرآن بالقرآن. وفي أوجه بيان السنة للكتاب وسبقت الإشارة إلى نحو هذا في أول الحديث عن منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير.

(٢) انظر دراسات في التفسير الموضوعي: د. أحمد جمال العمري ص ٤٦.

وكتاب «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن» للاستاذ ابراهيم خليل وغير ذلك.

٤ — وقد تكون المقارنة بين أقوال المفسرين، حيث يستطلع آراء المفسرين في الآية الواحدة مهما اختلفت مشاربهم، وتعددت مذاهبهم، ويذكر أدلة كل قول وحججه، و يناقش الأقوال، وينقد الأدلة، ويرجح ما يراه راجحاً، و يُبطل ما يرى بطلانه.

وأحسب أنَّ من أقدم المفسرين الذين سلكوا هذا المسلك هو امام المفسرين الطبري رحمه الله تعالى حيث جرى على ذكر أقوال أهل التأويل في كل آية ثم يذكر أدلة كل قول، ويقارن بينها، ويرجح أحدها ويُضعف ما يرى ضعفه.

رابعاً: التفسير الموضوعي:

وهو أسلوب لا يُفسَّر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف بل يجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد فيفسرها.

ولذا فإن التفسير الموضوعي هو: جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد وتفسيرها مجتمعة واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن فيها.

وقيل هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر^(١).

وقد نشأ (التفسير الموضوعي) في عهد مبكر في الإسلام فقد نشأ في عهد

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: الدكتور مصطفى مسلم ص ١٦.

النبوة ولا يزال إلى يومنا هذا، إلا أن مصطلح (التفسير الموضوعي) وإطلاقه على هذا الأسلوب من التفسير لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر ونستطيع أن نجد (التفسير الموضوعي) في صور متعددة عند السلف منها:

١ — تفسير القرآن بالقرآن:

إذ أن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد وتفسير بعضها ببعض هو أعلى درجات التفسير الموضوعي، وأعظمها ثمرة وأكثرها فضلا.

وكان أسبق الناس إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يفسر لأصحابه القرآن بالقرآن والأمثلة على ذلك كثيرة فقد روى البخاري (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسَرَ مَفَاتِحَ الْغَيْبِ في قوله تعالى « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ » (٢) فقال: «مفاتيح الغيب خمس» «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّمَاعِ وَيُزِيلُ الْغِيبَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا ذَاتَ كُتُبٍ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (٣) وأدرك ذلك الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يجمعون الآيات المتشابهة و يفسرون بعضها ببعض فإن أشكل عليهم تفسيرها رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فبينه لهم.

٢ — تفسير آيات الأحكام:

فقد اتجه طائفة من قدامى المفسرين إلى تتبع آيات الأحكام الفقهية

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير ج: ٥ ص: ١٩٣.

(٢) سورة الانعام: من الآية: ٥٩.

(٣) سورة لقمان: الآية: ٣٤.

في القرآن الكريم دون غيرها وتفسيرها على هذا النحو. ومن أشهر المؤلفات في ذلك:

- ١ — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
- ٢ — أحكام القرآن للجصاص.
- ٣ — أحكام القرآن لابن العربي.
- ٤ — نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لمحمد صديق حسن. وغيرها.

ولا شك أنَّ هذا لون من ألوان التفسير الموضوعي.

٣ — الأشباه والنظائر:

ويقوم المفسر فيه بتتبع كلمة قرآنية واحدة في القرآن الكريم وبيان معناها في كل موضع ومن ثَمَّ معرفة استعمالات القرآن الكريم لها ودلالاتها المختلفة.

ومن أشهر المؤلفات في هذا:

- ١ — الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان. هذه هي نسخة الكتاب
- ٢ — التصاريف: يحيى بن سلام. مقاتل بن بكر
- ٣ — بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي.
- ٤ — نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي.
- ٥ — كشف السرائر في معرفة الوجوه والأشباه والنظائر: ابن العماد.
- ٦ — الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها: الثعالبي.

والغالب على هذا اللون من التفسير الجانب اللغوي إذ أنه يعتنى بالكلمات التي يتحدُّ لفظها ويختلف معناها حسب استعمالها ولا شك أنَّ

هذا لون من ألوان التفسير الموضوعي.

٤ — الدراسات التفسيرية:

ولم تقتصر جهود العلماء السابقين على الجوانب اللغوية للكلمات القرآنية بل جمعوا الآيات التي تشترك في موضوع واحد أو قضية واحدة كالنسخ، والقسم، والمُشْكِل، والأمثال، وغيرها فجمعوها ثم تناولوها من الجانب المراد.

فجمعوا الآيات النسخة والآيات المنسوخة، وجمعوا الآيات التي يبدو التعارض بينها ظاهراً، وما ذهب من الآيات مذهب المثل، وجمعوا ما فيه قَسَم من الآيات القرآنية وغير ذلك والمؤلفات على هذا النحو كثيرة منها:

١ — النسخ والمنسوخ: أبو عبيدة القاسم بن سلام.

٢ — تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة.

٣ — أمثال القرآن: للماوردي.

٤ — التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم.

٥ — مجاز القرآن: العز بن عبد السلام.

وبهذا يظهر لنا — يقينا — أنَّ التفسير الموضوعي وإن تأخرت تسميته بهذا الإسم فإنه من علوم السابقين ومن مبتكراتهم.

ولا شك أنَّ المؤلفات في التفسير الموضوعي قد كثرت في العصر الحديث وأصبحت المكتبة القرآنية تزخر بالمؤلفات فيه فهو ميدان خصب للباحثين.

ولخدمة الباحثين في هذا الموضوع فقد اتجهت العناية إلى جمع الآيات القرآنية وترتيبها حسب موضوعاتها ومن أشهر المؤلفات في هذا كتاب

المستشرق الفرنسي جول لابوم (تفصيل آيات القرآن الكريم) حيث قسّمها الى نحو ٣٥٠ موضوعاً. إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أنه حتى الآن لم يكتب أحد تفسيراً موضوعياً شاملاً للقرآن الكريم.

أنواع التفسير الموضوعي:

ينقسم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أنواع هي:

الأول: أن يتتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم، ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم يقوم بتفسيرها واستنباط دلالاتها واستعمالات القرآن الكريم لها.

وقد اهتمت بهذا الموضوع من التفسير كتب الأشباه والنظائر: إلا أنها وقفت عند حدّ بيان دلالة الكلمة في موضعها من غير ربط بين مواضع ورودها، واستعمالاتها في كل موضع، فبقي تفسيرهم للكلمة في دائرة (الدلالة اللفظية) (١).

ثم اتسع هذا اللون من التفسير فتتبع المفسرون الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواضع وأظهروا بهذه الطريقة معاني جديدة، وألواناً من البلاغة ووجوهاً من الإعجاز القرآني، واستنبطوا دلالات قرآنية دقيقة لا تظهر بغير هذا المسلك.

ومن المؤلفات على هذا النوع من التفسير:

١ — (كلمة «الحق» في القرآن الكريم) للشيخ محمد بن عبد الرحمن الراوي.

٢ — المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله، الربُّ، العبادة، الدين)

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم ص: ٢٣.

لأبي الأعلى المودودي.

٣ — الأمة في دلائلها العربية والقرآنية للدكتور أحمد حسن فرحات.

٤ — (الحمد) في القرآن الكريم للدكتور محمد محمد خليفة.

٥ — من مفردات القرآن (المنافقون) للدكتور محمد جميل غازي.

٦ — تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم (الحس، والعقل، والقلب، واللب، والفؤاد) للدكتور محمد الشرقاوي.

النوع الثاني:

جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة عرضاً وتحليلاً ومناقشة وتعليقاً، وبيان حكم القرآن فيها.

والمفسر على هذا النحو يجعل همّه الموضوع ذاته وما يؤدي إليه فلا يُشغل نفسه بذكر القراءات، ووجوه الإعراب، وصور البلاغة، إلا بمقدار صلتها بالموضوع وما تخدم منه.

وهذا النوع هو أشهر أنواع التفسير الموضوعي وأكثرها تأليفاً ودراسة وإذا أطلق مصطلح (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه^(١).

والمؤلفات فيه كثيرة متعددة قديماً وحديثاً، بل إن الكتب التي تتناول (إعجاز القرآن) أو (الناسخ والمنسوخ) أو (أحكام القرآن) أو (أمثال القرآن) أو (قصص القرآن) أو (جدل القرآن) أو (بلاغة القرآن) أو (القسم في القرآن) أو غير ذلك ما هي إلا من هذا النوع من التفسير.

أما في العصر الحديث فقد أضافت إلى هذه العلوم موضوعات

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم ص ٢٧.

إجتماعية واقتصادية، وسياسية، وغير ذلك، ومنها:

- ١ — آيات الجهاد في القرآن الكريم: كامل سلامة الدقس.
 - ٢ — المال في القرآن: محمود غريب.
 - ٣ — دستور الأخلاق في القرآن: د. محمد عبد الله دراز.
 - ٤ — التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم: حنفي أحمد.
 - ٥ — القرآن والطب: محمد وصفي.
 - ٦ — التربية في كتاب الله: محمود عبد الوهاب.
- وموضوعات أخرى كثيرة.

النوع الثالث:

هو تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها.

وهذا النوع — كما ترى — قريب من النوع الثاني، إلا أن دائرته أضيق.

ومن المعلوم أنَّ لكل سورة من السور القرآنية شخصيتها المستقلة وأنَّ لها هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه وبيانه، وإدراك هدف السورة يكشف للباحث معاني دقيقة، ومناسبات لطيفة، وصوراً بليغة.

ومن تميز تفسيره بالعناية ببيان مقاصد السور وأهدافها سيد قطب — رحمه الله تعالى — حيث التزم أن يُقدِّم لكل سورة مقدمة يبين فيها أهدافها وينطلق في تفسيرها على هذا المحور مما أعطى تفسيره صبغة لا تكاد تجدها فيما سواه.

- ومن المؤلفات في هذا النوع من التفسير:
- ١ — تصور الألوهية كما تعرضه سورة الانعام: د. ابراهيم الكيلاني.
 - ٢ — نماذج من الحضارة القرآنية في سورة الروم: د. عبد المنعم الشفيق.
 - ٣ — قضايا العقيدة في ضوء سورة ق: كمال محمد عيسى.
 - ٤ — قضايا المرأة في سورة النساء: د. محمد يوسف.
 - ٥ — سورة الواقعة ومنهجها في العقائد: محمود غريب.
- ويظهر بهذا العرض السريع أنَّ التفسير الموضوعي من أهم أساليب التفسير وله مزايا عديدة ليس هذا مجال بيانها.

طرق التفسير

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم عرباً خُلصاً يفهمون القرآن بمقتضى اللغة، لكن اللغة وحدها لا تكفي لفهم بعض معاني القرآن الكريم، بل لابد من معرفة ما يحيط بالآية من أحداث وملابسات كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص وغير ذلك فضلاً عن القدرة على الاستنباط، ودقة الفهم.

لذا فقد كان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا يتفاوتون في فهم القرآن الكريم، ويشكل على بعضهم ما لا يُشكل على الآخر، ولوتساوت الأذهان في ادراك معاني القرآن لبطل التنافس وخمدت الهمم، لنزال ما يحملها على القدر وإعمال الذهن والتفكير والتدبر، لكن الله — جلت حكمته — جعل ألفاظ القرآن تحتل — أحياناً — معاني كثيرة، وأمر الناس بالتدبر والتفكير فيها وحث الناس على ذلك فقال سبحانه «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَلُوا الْأَنْبِيَاءِ» (١). وقال سبحانه وتعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ أَنْ يُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يُهْتَدُونَ» (٢). وقال عز وجل «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ أَنْ يُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يُهْتَدُونَ» (٣). ولهذا فقد تنافس الصحابة رضي الله عنهم والمسلمون من بعدهم في التدبر في آيات القرآن، وبيان معانيه، واستنباط حكمه وأحكامه فإن وجدوا في القرآن ما يُفسر بعضه بعضاً

(١) سورة ص: الآية: ٢٩.

(٢) سورة النساء: آية: ٨٢.

(٣) سورة محمد: آية: ٢٤.

أخذوا به وإلا رجعوا إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن وجدوا
وإلا رجعوا إلى أقوال الصحابة رضی الله عنهم، فإن أعياهم ذلك اجتهدوا
رأيهم. وبهذا يظهر أنَّ طرق التفسير ومصادره تنقسم إلى طريقتين:

١ — التفسير بالمأثور.

٢ — التفسير بالرأي.

وستتناول ذلك بشيء من البيان.

أولاً: التفسير بالمأثور:

والمراد به ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض
آياته، وما نُقِلَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نُقِلَ عن أصحابه رضي
الله عنهم من ذلك واختلفوا فيما نُقِلَ عن التابعين رحمهم الله تعالى هل هو
من التفسير بالمأثور أم لا، وعلى هذا فإنهم يُعَرِّفُونَ التفسير بالمأثور بأنه:
«التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية
فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، و يتوقف عما لا طائل
تحتة، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح».

فضله ومكانته:

والتفسير بالمأثور أفضل أنواع التفسير وأعلاها لأنه:

إمّا أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله تعالى فهو أعلم بمراده.

وإمّا أن يكون تفسيراً له بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المبيّن

لكلام الله تعالى.

وإمّا أن يكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل

اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.
ولكن ينبغي أن يعلم أن هذا مشروط بصحة السند عن الرسول صلى
الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضي الله عنهم.

وينبغي أن نتفطن إلى أن التفسير بالمأثور قد دخله الوضع وسرى
فيه الدسُ والخرافات ويرجع ذلك إلى أسباب منها:

١ — ما دسه أعداء الإسلام مثل زنادقة اليهود الذين تظاهروا بالإسلام
لدس الأخبار المحرفة التي يجدونها في كتبهم.

٢ — ما دسه أصحاب المذاهب الباطلة والنحل الزائفة كالرافضة الذين
افتروا الأحاديث ونسبوها زوراً وبهتاناً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو
إلى أصحابه رضي الله عنهم.

٣ — نقل كثير من الأقوال المنسوبة إلى الصحابة بغير إسناد مما أدى إلى
اختلاط الصحيح بغير الصحيح والتباس الحق بالباطل.

ولذا فإنه ينبغي التثبت عند الرواية للتفسير بالمأثور وعلى هذا فإنَّ
التفسير بالمأثور نوعان:

أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله.

ثانيهما: ما لم يصح لسبب من الأسباب السابقة وهذا يجب رَدُّه ولا يجوز
قبوله ولا الاشتغال به إلا لتمحيصه أو التنبيه إلى ضلاله حتى لا يغترَّ به
أحد^(١).

وليس من الحق الاعتقاد بأنَّ التصنيف في التفسير بالمأثور عمل آلي

(١) انظر مناهل العرفان: الزرقاني ج: ١ ص: ٤٩٣.

ليس لصاحبه من عمل فيه إلا النقل.

بل إنَّ هذا النوع من التفسير يحتاج إلى جهد من المفسر وجهد من القارئ للتفسير لتحري مذهب المفسر.

جَهْدُ من المفسر ليجمع حول الآية «ما يرى» أنها متجهة إليه فيقصد إلى «ما يتبادر إلى ذهنه» من معناها. وتحت هذا التأثير قد يقبل مروياً ويعنى به، ولو لم يكن صحيحاً، ويرفض مروياً حين لا يرتاح إليه.

وجَهْدُ من القارئ لاستشفاف مذهب المفسر وآرائه وتحري الآثار التي رفضها المفسر لعدم موافقتها له.

ومن ثَمَّ كان التفسير بالمأثور لصاحب الرأي من أخطر التفاسير حيث أن المفسر بالرأي ينص على رأيه صريحاً، بينما ذو الرأي المفسر بالمأثور يُلبسُ آراءه ثوب المأثور فيخدع به من لا يعرف صحيحه من ضعيفه^(١).

مصادر^(٢) التفسير بالمأثور:

وتسمى (طرق التفسير) وهي المصادر التي يَعْتَمِدُ عليها التفسير بالمأثور و يصدر عنها:

أولها: القرآن:

وهو أصح طرق التفسير، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أصح الطرق

(١) انظر كتابي (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) ج: ٢ ص ٥١٩-٥٢٠.

(٢) يستعمل لفظ المصدر لمعنيين: لغوي واصطلاحي.

المعنى اللغوي: الذي يدل على معنى (الصدور) أي عَمَّا يَصْدُر عنه التفسير بالمأثور وهو القرآن والسنة وما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم.

والمعنى الاصطلاحي: يطلق على المصنفات التي اعتنت بجمع التفسير بالمأثور حتى صارت مرجعاً يُرجع إليها فيه (انظر أصول التفسير وقواعده للأستاذ خالد العك) (ص ١١٤-١١٥).

في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فانه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسِّطَ في موضع آخر»^(١).

فعلى من أراد أن يفسر القرآن أن ينظر في آيات القرآن الأخرى ويجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، فإنَّ ما أُجْمِلَ في موضع قد يبين في موضع آخر، وما أشكل في موضع قد يوضح في موضع آخر، وما جاء في آيات مُطلقاً قد يُقَيَّد في آيات أخرى، وما ورد عاماً قد يدخله التخصيص في آيات أخرى، وما جاء مُوجزاً في موضع قد يُفصَّل في موضع آخر، وبهذا يكون قد فُسِّرَ القرآن بالقرآن.

ومن امثلة تفسير القرآن بالقرآن:

تفسير الكلمات في قوله تعالى: «فَلَنَلَقِّيَنَّهُ أَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً»^(٢) بقوله تعالى «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(٣). وقوله تعالى «أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَى عَلَيْكُمْ»^(٤). فسرتها آية «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ»^(٥) الآية.

وقد ورد نفي (الخُلَّة) و(الشفاعة) يوم القيامة بقوله تعالى «يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٦).

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٣.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٣٧.

(٣) سورة الاعراف: من الآية: ٢٣.

(٤) سورة المائدة: من الآية الاولى.

(٥) سورة المائدة: من الآية: ٣.

(٦) سورة البقرة: آية: ٢٥٤.

وقد استثنى من الخُلة خُلة المتقين في قوله تعالى «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»^(١) واستثنى من الشفاعة ما أذن الله به منها «وَكُرِّمَ مَلِكٌ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى»^(٢).

ومنه قوله تعالى «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ»^(٣) فإنها عامة خصصت بقوله تعالى «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ»^(٤)

ثانيها: السنة النبوية:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن أعيانك ذلك — يعني تفسير القرآن بالقرآن — فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: «كلُّ ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن»^(٥).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى «السنة تُفسَّرُ الكتاب وتُبينه»^(٦).

وقد مرَّ بنا بيان اختلاف العلماء في المقدار الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن لكن ينبغي أن يُعلم أنَّ الوضَّاعين قد دسَّوا أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير ونسبوها إليه، فينبغي تحقيق الرواية في ذلك والتأكد من صحة نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تصدَّى لهذا الأمر جهاذة العلماء الذين هَيَّأهم الله تعالى من

(١) سورة الزخرف: الآية: ٦٧.

(٢) سورة النجم: من الآية: ٢٦.

(٣) سورة النساء: آية: ١٢٣.

(٤) سورة الشورى: آية: ٣٠.

(٥) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، ص: ٩٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ج١ ص ٣٩.

عباده العلماء وأمدّهم بعونه وتوفيقه وهدايته تحقيقاً لوعده عزّ شأنه «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِطُونَ» (١). ولهذا لما أراد هارون الرشيد أن يقتل زنديقا قال له الزنديق: أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم أحرم فيها الحلال، وأحلّ فيها الحرام ما قال النبي صلى الله عليه وسلم منها حرفاً، قال له هارون: أين أنت يا عدو الله من أبي اسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلاً فيخرجانها حرفاً حرفاً (٢).

أوجه بيان السنة للكتاب:

والعلاقة بين السنة والقرآن لها وجوه منها:

الوجه الأول: أنّ السنة تُبيّن ما أجمل في القرآن، وتوضح المشكل وتخصّص العام، وتقيد المطلق.

فمن الأول: بيان مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وكيفيتها، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها، وأنواعها وبيان مناسك الحج، وكيفية أدائها. ومن الثاني: تفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

ومن الثالث: تخصيص الظلم في قوله تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» (٣) فهو ظلم عام، إلا أنه خصّص بقول الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه الشرك.

ومن الرابع: تقييده اليد في قوله تعالى «فَأَقْصَوْا أَيْدِيَهُمَا» (٤)

(١) سورة الحجر: الآية: ٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص ١٩٤، والأسرار المرفوعة: ملا علي القاري ص ٦٢.

(٣) سورة الانعام: من الآية: ٨٢.

(٤) سورة المائدة: من الآية: ٣٨.

باليمين وأنه إلى مفصل الكفّ.

الوجه الثاني: بيان معنى لفظ او متعلقه.

كبيان (المغضوب عليهم) باليهود و(الضالين) بالنصاري.

الوجه الثالث: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم، كتحريم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وصدقة الفطر، ورجم الزاني المحصن وميراث الجدة.

الوجه الرابع: بيان التأكيد.

وذلك بان تأتي السنة موافقة لما جاء في القرآن لتأكيد كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه»^(١). فإنه يُوافق قوله تعالى «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»^(٢) ونحو ذلك^(٣).

وبهذا يظهر أنّ السنة النبوية أهم مصادر التفسير بالمأثور مع القرآن الكريم.

ثالثها: تفسير الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى اقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم»^(٤).

(١) رواه الدارقطني في سننه ج: ٣ ص: ٢٦.

(٢) سورة النساء: من الآية: ٢٩.

(٣) رجعت في بيان هذه الوجوه إلى التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٥٥-٥٧.

(٤) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص ٩٥.

رابعها: تفسير التابعين رحمهم الله تعالى:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه آية في التفسير.. وكسعيد بن جبر وعكرمة مولى بن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك ابن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم^(١) .

هذه هي أهم مصادر التفسير بالمأثور.

حكم التفسير بالمأثور:

يجب الأخذ بالتفسير بالمأثور ولا يجوز العدول عنه إذا صحَّ، والله اعلم.

ثانيا: التفسير بالرأى:

والمراد بالرأى: الإجتهد. وعليه فالتفسير بالرأى عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهد^(٢).

وقد يبذل المفسر جهده وتتوافر فيه شروط المفسر فيُحْمَدُ تفسيره، وقد يكون صاحب هوى أو لا تتوافر فيه شروط المفسر فيُذَمَّرُ تفسيره.

وبهذا يظهر أنَّ التفسير بالرأى ينقسم إلى قسمين:

— الأول: التفسير بالرأى الحمود.

— الثاني: التفسير بالرأى المذموم.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٢، ١٠٤.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي ج١ ص ٢٥٥.

التفسير بالرأى المحمود:

وهو التفسير المُستَمَدُّ من القرآن ومن سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، خبيراً بأساليبها، عالماً بقواعد الشريعة وأصولها.

والمفسر — هنا — يبذل جهده ووسعه في فهم النص القرآني وإدراك معناه مستنداً إلى اللغة، والنصوص، والأدلة الشرعية.

ولعل هذا النوع هو الذى دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما بقوله «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وفيه وقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في معنى الآية فأخذ كل واحد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى كما قال الزركشي^(١).

حكمه:

أجاز العلماء رحمهم الله تعالى التفسير بالرأى الذى يستند إلى اللغة، ونصوص الشريعة ولهم أدلة كثيرة على قبوله منها:
١ — قوله تعالى «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ»^(٢).

وقوله تعالى «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَيَّ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^(٣) وقوله سبحانه «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يُخْسَبَ»^(٤) وغير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن وإعمال الذهن في آياته، والتذكر.

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج ٢ ص ١٦١.

(٢) سورة القمر: الآية: ١٧.

(٣) سورة محمد: الآية: ٢٤.

(٤) سورة ص: الآية: ٢٩.

٢ — واستدلوا بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فلو كان التفسير مقصوراً على النقل كما كان لابن عباس مزية على غيره، فدل ذلك على أن المراد أمر آخر وراء النقل والسمع وهو التفسير بالرأي والاجتهاد^(١).

٣ — واستدلوا بأن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في تفسير القرآن على وجوه، فدل على أنه من اجتهادهم.

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي المحمود جائز، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى «فأما من تكلم — يعنى في التفسير — بما يُعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه»^(٢).

التفسير بالرأي المذموم:

وهو التفسير بمجرد الرأي والهوى، فهو تفسير لا يستند إلى نصوص الشريعة وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل البدع والمذاهب الباطلة فقد اعتقدوا معتقدات باطلة وآراء زائفة ليس لها سند ولا دليل ثم أرادوا أن يستدلوا لها من القرآن الكريم فلم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه ففسروها بآرائهم وحملوها ما لا تحتل كما قال ابن تيمية عن هؤلاء «إنَّ مِثْلَ هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم»^(٣)

(١) التفسير والمفسرون الذهبي: ج١ ص: ٢٦٣.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص ١١٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج١٣ ص ٣٥٨.

حكمه:

وهذا النوع من التفسير حرام لا يجوز، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:
«فأما تفسير القرآن بمُجَرَّد الرأي فحرام»^(١).

والأدلة على تحريمه كثيرة من الكتاب ومن السنة ومن أقوال الصحابة والتابعين.

فمن الكتاب:

قوله تعالى «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»^(٢) والتفسير بمجرد الرأي قول على الله بغير علم وقوله تعالى «وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٣) وقوله «لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»^(٤) فأضاف البيان الى الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن السنة:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم
أنه قال «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بغير علم فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٥)،
وحديث «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»^(٦).

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص ١٠٥.

(٢) سورة الاسراء: الآية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٦٩.

(٤) سورة النحل: الآية: ٤٤.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٣٣ ورواه الترمذي في سننه ج ٥ ص ١٩٩ كتاب

«تفسير القرآن» وقال: «حديث حسن صحيح».

(٦) رواه الترمذي ج ٥ ص ٢٠٠ وابوداود ج ٣ ص ٣٢٠.

ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم:
قال ابن تيمية رحمه الله تعالى «روى عن بعض أهل العلم من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم أنهم شَدَدُوا في أن يُفسَّرَ
القرآن بغير علم»^(١).

فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه «أَيُّ أَرْضٍ تُقْلَنِي وَأَيُّ
سَمَاءٍ تَظْلَنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَمْ أَعْلَمْ»^(٢) وفي رواية «إِذَا قُلْتُ
فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِي أَوْ بِمَا لَا أَعْلَمْ»^(٣).

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر «وفاكهة وأبًا»^(٤)
فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رَجَعَ إلى نفسه فقال إِنَّ هَذَا
هُوَ التَّكْلُفُ يَاعُمَرُ^(٥).

وعن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم
لقال فيها فأبى أن يقول فيها^(٥) قال ابن تيمية — اسناد صحيح —^(٦).

وسأل رجل جندب بن عبد الله عن آية من القرآن فقال له: أحرَّجُ
عليك إن كنت مُسْلِمًا لَمَّا قُمْتُ عَنِّي أَوْ قَالَ: أن تجالسني^(٧).

ومن أقوال التابعين رحمهم الله تعالى:
ما روى يحيى بن سعيد عن ابن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في
المعلوم من القرآن^(٧)، وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها

(١) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٣) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٧٨.

(٤) تفسير ابن كثير ج: ٤ ص: ٥٠١ وقال (هو اسناد صحيح).

(٥) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٨٦.

(٦) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص ١١٠.

(٧) تفسير الطبري ج: ١ ص: ٨٦.

ولكنها الرواية عن الله^(١).

وقال مسروق «اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله»^(٢) وروى عبيد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»^(٣) وقال إبراهيم بن يزيد النخعي «كان اصحابنا يتقون التفسير ويهابونه»^(٤).

هذه بعض الأدلة التي استدل بها العلماء رحمهم الله تعالى على تحريم تفسير القرآن بمجرد الرأي قال ابو جعفر الطبري رحمه الله تعالى: «وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه — وإن اصاب الحق فيه — فمُخطئ فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه»^(٥).

وقال ابن تيمية — رحمه الله تعالى —: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوالاً في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فانه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، ولقوله تعالى: «لَتَبَيَّنُنَّهُ لِلنَّاسِ لَآ تَكْتُمُونَهُ»^(٦) ولما جاء في

(١) المرجع السابق ج ١ ص: ٨٧.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص ١١٣.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٧٨—٧٩.

(٤) سورة آل عمران : الآية : ١٨٧.

الحديث المروي من طرق «من سُئِلَ عن عِلْمٍ فكتمه أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» (١) (٢).

وقال النووي رحمه الله تعالى: «ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه، وأما تفسيره للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه (٣) وقال: «أما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله (٤)».

إِذَا عُلِمَ هَذَا فَيَنْبَغِي الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ بِمَجَرَّدِ الرَّأْيِ، وَكَمْ يَجْزُ فِي النَّفْسِ حِينَ نَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَجَرَّأُونَ عَلَى تَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ وَلَا يَحْسِبُونَ لَذَلِكَ حِسَابًا، فَلَا تَتَلَكَّأُ أَلْسِنَتُهُمْ، وَلَا تَوْجِفُ قُلُوبُهُمْ وَكَأَنَّهُمْ قَدْ أَحَاطُوا بِالْقُرْآنِ عِلْمًا، وَأَصْبَحَ مِنْ مَدَارِكِهِمْ.

وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَسَّرَ آيَةَ لَوْ غُرِضْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا، وَأَكْثَرَ النَّاسِ مِلَازِمَةً لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِلْمًا بِالْقُرْآنِ لَوْ غُرِضْتُ عَلَيْهِ لَقَالَ «أَيُّ أَرْضٍ تُقْلَنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تَظْلَنِي إِذَا قُلْتُ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِي أَوْ بِنَا لَا أَعْلَمُ» وَإِنْ أَحَدُهُمْ لِيَفْسِرَ الْآيَةَ وَلَوْ سَمِعَهُ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَقَرَعَهُ بِدِرْتِهِ (٤) وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

(١) رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وقال الألباني إسناده صحيح (مشكاة المصابيح) ج ١ ص: ٧٧.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص: ١١٤-١١٥.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن: النووي ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) من كتابي (خصائص القرآن الكريم) ص ١٥٥-١٥٦.

مناهج التفسير

كان الصحابة رضي الله عنهم يفسرون القرآن بالقرآن والسنة، فإن لم يجدوا التفسير فيهما اجتهدوا وهم أهل للاجتهاد والاستنباط.

ولما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية أرضاً اتسعت رقعتها أيضاً لساناً فدخلت في الإسلام أمم أعجمية شتى بمختلف الألسنة واللهجات ومختلف المذاهب والعقائد، فدخل فيه بعد المشركين الذين يعبدون الأوثان أمم مجوسية، وأمم نصرانية وأهل ملل ونحل أخرى، وكان لهذا أثره.

فتعددت مناهل التفسير ومصادره، وتنوعت طرقه ومناهجه، فجَدَّ فيه مصادر محدثة، وطرق مبتدعة، ومناهج متعددة.

ونشأت عقائد منحرفة كالشيعة، والمعتزلة، والخوارج، والصوفية وغيرهم وصار لكل فرقة مصادرها ومنهجها في التفسير.

وتنوعت مناهج التفسير وأغراض المفسرين، فمنهم من ظلَّ على مصادره الأصلية، ومنهم من غَلَبَ تحكيم العقل المجرد في تفسيره، ومنهم من اصطبغ تفسيره بالعلم الذي برز فيه، فالنحوي غلب النحو على تفسيره، والفقيه غلب الفقه على تفسيره فتوسع في أصوله وفروعه، والمؤرخ غلب على تفسيره سرد القصص واستيفائها، والفيلسوف ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والردَّ عليها.

وتناول كثير من الكتاب والمؤلفين هذه المناهج فألفوا المؤلفات الكثيرة في عرضها ودراستها ونقدها وسنذكر تعريفاً موجزاً لبعض هذه المناهج.

أولاً: منهج التفسير بالمأثور: نشأته:

قال تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (١). ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون في تفسير القرآن إلى القرآن نفسه وإلى السنة النبوية، فإن لم يجدوا التفسير فيهما اجتهدوا.

وقد تلقى التابعون رحمهم الله تعالى ما أُثِرَ عن الصحابة رضي الله عنهم في التفسير سواء كان تفسيراً للقرآن بالقرآن أو بالسنة أو باجتهادهم وتناقلوه بينهم، ولذا سمي هذا النوع من التفسير بـ«التفسير بالمأثور» وبـ«التفسير بالمنقول».

واشتهر عدد من الصحابة بالتفسير منهم:

أبو بكر، عمر، عثمان، علي، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عباس، عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو موسى الأشعري، زيد بن ثابت، أبي بن كعب، عائشة، رضي الله عنهم أجمعين.

كما اشتهر عدد من التابعين في التفسير منهم:

مجاهد بن جبر، سعيد بن جبر، قتادة بن دعامة السدوسي، زيد بن أسلم، محمد بن كعب القرظي، أبو العالية الرياحي، عطاء بن أبي رباح، عكرمة مولى ابن عباس، الحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

(١) سورة النحل: الآية: ٤٤.

أسباب ضعف الرواية للتفسير بالمأثور:

والتفسير بالمأثور إذا صح سنده لا خلاف في قبوله وتقديمه على غيره، لكن ينبغي أن نتفطن إلى أن التفسير بالمأثور قد دخله ما ليس منه مما يوجب التثبت وأخذ الحيطه والحذر عند تناوله وبيان الصحيح من الدخيل فلا نقبل المروي من التفسير بالمأثور إلا بعد نقد وتمحيص، وترجع أسباب ذلك إلى أمور:

أولها: الوضع:

فقد سرى الوضع في التفسير بالمأثور حين نشأت بعض الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، فأرادت أن تسند عقيدتها بالنصوص القرآنية، فلمّا لم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه وضعوا الأحاديث في تفسير هذه الآيات على ما يريدون وذلك كالمعتزلة والرافضة وغلاة الصوفية وغيرهم. كما كان للانتماء السياسي في صدر الإسلام أثره في وضع الأحاديث تقرباً لبعض السلاطين أو كرهاً لآخرين.

وكان أيضاً لأعداء الإسلام عامة الذين عجزوا عن محاربة الإسلام بالسيف فتظاهروا بالدخول في الإسلام للكيد له ولأهله فوضعوا الأحاديث في التفسير بالمأثور وغيره.

ثانيها: الإسرائيليات:

وذلك أنّ القرآن تناول كثيراً قصص الأنبياء السابقين والأمم الماضية والحوادث الغابرة، وحين يتناولها القرآن فإنه يبرز منها جانب الموعظة والعبرة ولا يعتنى بتفصيل دقائقها.

وفي النفس الإنسانية ميلٌ إلى استيفاء القصة واستكمال الصورة،

فكان بعض المسلمين يسأل من دخل في الاسلام من أهل الكتاب عن تفاصيل قصص القرآن وأخباره مما ورد في التوراة والإنجيل و يطلق على هذا اللون من الأخبار «الإسرائيليات» وهو اطلاق وإن كان يدل على ما ورد عن بني إسرائيل وهم اليهود، إلا أنَّ المراد به ما ورد عن اليهود والنصارى أيضا من باب التغليب وإطلاق الجزء على الكل، وإنما غلب اليهود لوجود طائفة منهم في المدينة في صدر الاسلام وكان الاتصال بهم أقرب.

ومعلوم أنَّ التحريف والتغير والتبديل قد أصاب التوراة والإنجيل، ولهذا فإن الإسرائيليات لا تخلو من ثلاث حالات:

١ — أن توافق ما جاء في شريعتنا.

٢ — أن تخالفه.

٣ — أن لا توافقه ولا تخالفه.

فالنوع الأول نَعْلَمُ صِدْقَهُ تبعاً لتصديقنا ما جاء في شريعتنا وحكم هذا النوع القبول.

والنوع الثاني نعلم كَذِبَهُ لمخالفته ما صح في شريعتنا وهذا النوع مردود لا تجوز روايته إلا على سبيل التحذير منه ورده.

والنوع الثالث لا نعلم صدقه ولا كذبه، فلا نصدقه ولا نكذبه، بل نتوقف فيه، وغالب هذا النوع مما لا فائدة في معرفته.

ولهذا ينبغي التثبت فيما روي من التفسير بالمأثور لئلا يكون من الإسرائيليات.

ثالثها: حذف الإسناد:

وذلك أنَّ الرواية للتفسير بالمأثور غن الصحابة كانت بالإسناد، فلمَّا وقعت الفتن وكثر الدس صار بعضهم يحذف الإسناد حتى لا تعرف درجته فالتبس الصحيح بالضعيف.

فوجب — حينئذ — التثبت في الرواية ومعرفة السند في التفسير حتى لا يُقبل الدخيل أو يُردَّ الأصيل.

تدوين التفسير بالمأثور:

لم يعرف عند الصحابة رضي الله عنهم تدوين للتفسير وإنما كان التفسير عندهم بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين.

أمَّا في عهد التابعين فقد انتشر التعليم وكثر الكتابُ فاتجهت طوائف منهم إلى تدوين العلوم ومنها التفسير.

وقد نصَّ ابنُ تيمية^(١) وابنُ خَلَّكان^(٢) رحمهما الله تعالى على أنَّ أوَّلَ من صنف في التفسير عبد الملك بن جريج (٨٠هـ — ١٥٠هـ).

ولا نستطيع الجزم بما ذهبوا إليه فقد سبق ابنُ جريج عددٌ كبير، فقد أملى ابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ) التفسير على مجاهد بن جبر^(٣) رحمه الله تعالى وجمع سعيد بن جبير رحمه الله تعالى لعبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) صحيفة في التفسير^(٤)، وجمع أبو العالیه الرياحي (ت ٩٠هـ)

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ج: ٢٠ ص: ٣٢٢.

(٢) وفيات الاعيان: ابن خلكان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج: ٢ ص ٣٣٨.

(٣) انظر مجموع الفتاوى: ابن تيمية ج: ١٣ ص ٣٦٩، وتفسير الطبري ج: ١ ص ٩٠ وتفسير ابن كثير ج: ١ ص ٣.

(٤) تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني ج: ٧ ص ١٩٨ — ١٩٩.

نسخة في التفسير عن أبي ابن كعب^(١) وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري^(٢) رحمه الله تعالى (ت ١١٦هـ) وكان عند زيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ) كتاب في التفسير^(٣) وألف اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي (ت ١٢٧هـ) تفسيراً للقرآن^(٤) وغير ذلك.

وبهذا لا نستطيع الجزم بأن ابن جُرَيْج أوّل من صنف في التفسير إلا أن يكون تصنيف من ذكرنا غير شامل لآيات القرآن، وتأليفه شامل للقرآن كُله.

إلا أننا نجزم بأن أقدم تفسير شامل للقرآن وَصَلَ إلينا هو تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (ت ٣١٠هـ).

ومن المؤلفات في التفسير بالمأثور:

- ١ — جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).
- ٢ — تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).
- ٣ — بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٥هـ).
- ٤ — الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأبي اسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧هـ).

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي ج: ١ ص: ١١٥.
(٢) وفيات الاعيان: ابن خلكان ج: ٣ ص: ١٣٢. وتاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ج: ١ ص: ٢٥٧ ترجمة عبد الحليم النجار.
(٣) تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي ج: ١ ص: ١٣٣.
(٤) انظر الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي ج: ٢ ص: ١٨٨، وتفسير الطبري ج: ١ ص: ١٥٦-١٦٠ وتهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني ج: ١ ص: ٣١٥.

- ٥ — معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ).
- ٦ — المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الاندلسي (ت ٥٤٦هـ).
- ٧ — تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).
- ٨ — الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن الثعالبي (ت ٨٧٦هـ).
- ٩ — الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).
- ١٠ — فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد ابن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).
- ١١ — أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ).

ثانيا: منهج التفسير الفقهي:

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم لحكم عظيمة غايتها ونهايتها:

- ١ — تصحيح العقيدة.
 - ٢ — تقويم السلوك^(١).
- أمّا أولها فقامت به آيات العقائد، وبنته على قواعد سليمة قوامها أركان الإيمان.
- أمّا الثاني فتكفلت به آيات الاحكام على وجه اختاره الله لعباده ضَلُّوا إِنَّ عَمَلُوا بِسِوَاهُ، وَكَفَرُوا إِنَّ حَكَمُوا بِغَيْرِهِ.

(١) انظر منهاج المفسرين: د. مساعد مسلم ص: ١٣٧.

وقد استحوذ هذان الركنان على جُلِّ أو ان شئت فقل كل آيات القرآن الكريم، وما عداهما من آيات القصص والأمثال والوعد والوعيد لا يخرج كله عن تقرير عقيدة أو تقويم سلوك، فهو داخل في دائرة هذين الركنين لا يخرج عنهما بحال من الأحوال^(١).

ولا شك أنَّ دلالة النصوص القرآنية لا تظهر بصورة شاملة للحُكم في كثير من الأحوال، كما أنَّها لا تدل بصورة قطعية على الأحكام في بعض الاحوال.

كما أنَّ السنة النبوية ليست على درجة واحدة في الثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هي تتفاوت بين الصحة والضعف.

ولهذه الاختلافات في دلالة النصوص القرآنية، وتفاوت ثبوت بعض الاحاديث وللعلاقة الثابتة بين الكتاب والسنة لهذا كله أصبح المجال في غالبه مجال اجتهاد، وإعمال ذهن، واستنباط، بل سَمَّه فِقْهًا، وبهذا تكون نشأة علم الفقه مبكرة في صدر الإسلام^(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتدبرون القرآن ويستنبطون أحكامه فيتفقون أحياناً ويختلفون حيناً، فقد وقع الاختلاف — مثلاً — في عدّة المرأة الحامل المُتَوَقَّي عنها زوجها وذلك في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَسُوْقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^(٣).

وقوله سبحانه «وَأُولَئِكَ الْأَخْمَرُ أَلْأَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»^(٤)

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: للمؤلف ج: ٢ ص: ٤١٥.

(٢) المرجع السابق، ج: ٢ ص: ٤١٦.

(٣) سورة البقرة: من الآية: ٢٣٤.

(٤) سورة الطلاق: من الآية: ٤.

فقد استند علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم إلى هاتين الآيتين في أنها تعتد بأبعد الأجلين (الوضع) أو (الأربعة أشهر وعشرا).

أما ابن مسعود وأبو هريرة وأبوسلمة فإنهم يرون أن عدتها الوضع لأن آية الطلاق نزلت بعد آية البقرة^(١)، فهي مخصصة لها. واستدلوا أيضا بحديث سبيعة الأسلمية وقد سبق تفصيل هذا الخلاف^(٢).

ووقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في الثلث المذكور في قوله تعالى «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَّثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ»^(٣)، فقد رأى عمر وعثمان وابن مسعود وزيد بن ثابت وأصح الروايتين عن علي رضي الله عنهم أجمعين، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجهور العلماء^(٤):-

أنَّ المراد ثلث الباقي إن كان معهما زوج أو زوجة، لأن الأم والأب ذكر وأنثى ورثا بجهة واحدة فللذكر مثل حظ الانثيين وصورة المسألة هكذا:

إذا كان المَتَوَفَّى الزوجة: ٦

زوج	$\frac{1}{2}$	٣
أم	$\frac{1}{3}$ الباقي	١
أب	الباقي	٢

إذا كان المَتَوَفَّى الزوج: ١٢

زوجة	$\frac{1}{4}$	٣
أم	$\frac{1}{3}$ الباقي	٣
أب	الباقي	٦

(١) انظر تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٢٩٥-٢٩٦ وج: ٤ ص: ٤٠٥-٤٠٦.

(٢) انظر ص: ٥٤-٥٣.

(٣) سورة النساء: من الآية: ١١.

(٤) تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٤٨٤.

وذهب ابن عباس وروى عن علي ومعاذ بن جبل إلى أنَّ المراد ثلث المال كله لعموم الآية (١).

وصورة المسألة هكذا:

إذا كان المَتَوَقَّى الزوجة: ٦

زوج	$\frac{1}{2}$	٣
أم	$\frac{1}{3}$	٢
أب	الباقى	١

إذا كان المَتَوَقَّى الزوج: ١٢

زوجة	$\frac{1}{4}$	٣
أم	$\frac{1}{3}$	٤
أب	الباقى	٥

ويعتبر هذا الاختلاف الفقهي نواة لاختلاف الفقهاء بعد ذلك. ثم سعى أتباع كل مذهب فقهي إلى آيات الأحكام في القرآن الكريم يُفردونها بالتأليف ويُفسرونها حسب قواعد في استنباط الأحكام فخرجت تفاسير لآيات الأحكام لا تكاد تجد بينها وبين كتب الفقه كبير فارق.

فتنوعت تفاسير آيات الاحكام حسب تنوع المذاهب الفقهية.

فمن المؤلفات في ذلك:

من المذهب الحنفي:

١ — تفسير أحكام القرآن: لأبي بكر الرازي المعروف بالخصاص. في ثلاثة مجلدات.

٢ — التفسيرات الأحمديّة في بيان الآيات الشرعية: مُلَاجِيُون. في مجلد

ومن المذهب المالكي:

١ — تفسير أحكام القرآن: لأبي بكر بن العربي. في أربعة مجلدات.

٢ — الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله القرطبي. في عشرة مجلدات كبار.

ومن المذهب الشافعي:

١ — أحكام القرآن: جَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ نصوص الإمام الشافعي. في مجلد.

٢ — أحكام القرآن: إلكيا الهراسي. في مجلدين.

٣ — الإكليل في استنباط التنزيل: السيوطي. في مجلد واحد.

٤ — القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز: أحمد بن يوسف الحلبي (السمين).

ومن المذهب الحنبلي:

١ — زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي في تسعة مجلدات وهو وإن لم يكن من التفاسير المقتصرة على التفسير الفقهي إلا أنه يُعَدُّ وَفْقَ المذهب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام.

وفي العصور الحديثة أَلَفَ عددٌ من العلماء كُتِبَ في تفسير آيات الأحكام منها:

١ — نيل المرام في تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن. في مجلد.

٢ — روائع البيان في تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني. في مجلدين.

٣ — تفسير آيات الأحكام: أشرف على طبعه وتنقيحه محمد علي السائس.

٤ — تفسير آيات الأحكام: مناع القطان.

ثالثاً: منهج التفسير العلمي:

حين ضَلَّتْ البشرية وتاهت في عالم التيه والضلال أرسل الله إليهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليهم كتابه القرآن «هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ»^(١). فأخرجهم به من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى.

(١) سورة البقرة: من الآية: ١٨٥.

وسلك القرآن مسلك الإقناع بالحجة والبرهان فساق الأدلة، وأمرَ بالنظر وحث على التفكير والتدبر، ودعا إلى التأمل، وعرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية كخلق السموات والأرض، وخلق الإنس والجن والملائكة، وسوقِ السحاب، وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس والقمر، ونحدث عن الكواكب والنجوم والشهب، والصعود في السماء، وعن خَلْقِ الإنسان وأطوار الجنين، وعن النبات، والبحار، والجبال، وما تحت الثرى، وعَرَضَ لمعارف شتى، وعلوم متعددة.

ومع تطور العلوم والتقدم العلمي، والاكتشافات العلمية الحديثة، فلم ينقض العلمُ شيئاً مما جاء في القرآن، ولم يُصادم جُزئية من جزئياته مِمَّا بَوَّأ القرآن الكريم مكانة لم يشاركه فيها كتاب من قبله ولا من بعده فَمَّا مِنْ كتاب عَرَضَ لِمِثْلٍ ما عَرَضَ له القرآن الكريم إلا وكشف الزمنُ زيفه، وأبطلت الحقائق العلمية الثابتة نظرياته، حاشا القرآن الكريم، وهذا هو ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وقد توسع بعضُ المفسرين في هذا النوع من الآيات وأولَّوها عنايتهم واهتمامهم، فأبرزوا في تفاسيرهم الحديث عن الفلك ونظامه والكواكب والنجوم وسيرها، وعن أسرار خلق الإنسان وأطواره، وعن المياه والبحار والأنهار والسحب والأمطار، وعن النبات وسائر الأشجار، وعن الحيوانات والأنعام وينطلقون في هذا كله من الآيات القرآنية واستنباط معانيها ودلالاتها الظاهرة والخفية.

وانقسم العلماء في حكم هذا التفسير إلى مؤيد، ومعارض، وإلى طائفة أخرى معتدلة، ولكل منهم حججه وبراهينه.

استدل المؤيدون للتفسير العلمي للقرآن بأدلة منها:

١ — ان الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، ودكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها، وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها (١).

٢ — انه تعالى قال «أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» (٢) فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها، وكيف خلق كل واحد منها (١).

٣ — أن في التفسير العلمي إدراكاً لوجوه جديدة للإعجاز في القرآن.

٤ — إنه يملأ النفس إيماناً بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواص الأشياء، ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون (٣) وحينما يرى الحقائق القرآنية ثابتة وصامدة تتكسر تحت أقدامها «النظريات العلمية» وتعانقها بسلام «الحقائق» العلمية.

وقال المعارضون للتفسير العلمي:

١ — إن إعجاز القرآن ثابت، وهو غني عن أن يُسلك في بيانه هذا المسلك المُتَكَلَّف الذي قد يذهب بإعجاز القرآن.

٢ — إن الدعوة القرآنية إلى النظر في الكون والعلوم هي دعوة عامة إلى

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازي ج: ١٤ ص: ١٢١.

(٢) سورة ق: الآية: ٦.

(٣) مناهل العرفان: الزرقاني ج: ١ ص: ٥٦٨—٥٦٩.

موضع العظة والتفكير وليست بدعوة إلى بيان دقائقها وكشف علومها.

٣ — إنَّ التفسير العلمي مدعاة للزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه لأن عملية «التوفيق» تفترض غالباً محاولة للجمع بين موقفين يُتَوَهَّمُ أنهما متعاديان ولا عدااء، أو يُظَنُّ أنهما متلاقيان ولا لقاء، بمعنى أنه لا يُحالف النجاح كُلَّ عملية من عمليات التوفيق.

٤ — إنَّ تناول القرآن بهذا اللون من التفسير يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتلها ألفاظ النصِّ القرآني الكريم، لأنه يَحُسُّ بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة مع أنَّ كثيراً من حقائق العلم مؤقتة ومتغيرة ولا تظهر كُلُّها دفعة واحدة، بل تتكشف يوماً بعد يوم وحينئذ يكون التعجل في تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلاً غير مشروع^(١).

٥ — إنَّ ما يُكتشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يُفسر قدراً أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق. ومن ثَمَّ فهي قابلة دائماً للتغيير، والتعديل، والنقص، والاضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة^(٢) ومن ثَمَّ فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية على مثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند سقوط تلك النظرية.

والرأى الراجح:

هو أنه لا بأس من إيراد (الحقائق) العلمية الثابتة التي لا تقبل الشك

(١) الفكر الديني في مواجهة العصر: عفت الشرقاوي ص: ٤٤٣.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، ج: ٢ ص: ٩٧.

عند تناول النصّ القرآني مع إدراك معنى النصّ وفهمه الفهم السليم الخالي من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية وهذا كله مشروط بـ: (١)

١ — أن لا تطفئ تلك المباحث على المقصد الأول من القرآن وهو الهداية.
٢ — أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

٣ — أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويلفتهم إلى جلال القرآن وعظمته، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعاً يُعيد للأمة الإسلامية مجدها (٢).

٤ — أن لا تُذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النصّ القرآني على سواه، بل تُذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بُعد على قداسة النصّ القرآني، ذلك أن تفسير النصّ القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للردّ أو البطلان (٣).

أهم المؤلفات في هذا اللون من التفسير:

وهناك مؤلفات كثيرة قديماً وحديثاً اشتملت على هذا اللون من التفسير منها:

١ — التفسير الكبير: الفخر الرازي.

٢ — الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري.

(١) من كتابي (اتجاهات التفسير) جـ: ٢ ص: ٦٠٤.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني جـ: ١ ص ٥٦٩—٥٧٠.

(٣) مجلة كلية أصول الدين: العدد الثاني ص ٥٨ مقال (نظرات في مدرسة التفسير الحديثة) د. مصطفى مسلم.

٣ — كشف الأسرار النورانية القرآنية: محمد بن أحمد الاسكندراني.

٤ — القرآن ينبوع العلوم والعرفان: علي فكري.

٥ — التفسير العلمي للآيات الكونية: حنفي أحمد.

رابعاً: منهج التفسير العقلي:

و يسمى هذا اللون من التفسير (التفسير بالإجتهد) و(التفسير بالرأى) و(التفسير بالذراية) و(التفسير بالعقل).

نشأته:

نشأ هذا التفسير في عصر مبكر في الإسلام، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُفسرون ما لم يَرِدْ تفسيره بالقرآن ولا في السنة باجتهادهم وكذلك فعل بعض التابعين رحمهم الله تعالى وكان المفسرون على هذا النحو من الصحابة والتابعين يستندون في تفسيرهم إلى المُقْتَضَى من معنى الكلام والمُقْتَضَب من قوة الشرع.

واستمر الأمر على هذا النحو إلى أن نشأت الفرق والمذاهب المنحرفة التي فسرت آيات القرآن وفق مذاهبهم الفاسدة وآرائهم الباطلة غير مستندين إلى شرع ولا إلى لغة صحيحة وإنما بمجرد الرأي والهوى.

فوقع — لهذا — الاختلاف في التفسير بالرأى. فمنهم من أجاز التفسير بالرأى ومنهم من منعه.

ادلة المانعين من التفسير بالرأى:

وللمانعين من التفسير بالرأى أدلة عديدة منها:

١ — النصوص القرآنية التي تنهى عن القول في القرآن بغير علم مثل قوله

تعالى «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» (١).

وقوله سبحانه «وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ» (٢).

٢ — الأحاديث التي تُحرِّمُ القول في القرآن بغير علم كقوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» (٣) وما رواه جُنْدُب «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ» (٤).

٣ — أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (٥). قد أضاف البيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فدل هذا على أَنَّ غيره لا يجوز له بيان القرآن.

واستدل المجيزون للتفسير بالرأي بأدلة منها:

١ — النصوص القرآنية الكثيرة التي تدعو إلى التدبر في آيات القرآن واستنباط معانيه كقوله تعالى «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» (٦) وقوله سبحانه «كُنْتُ أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ» (٧). وقوله عزَّ شأنه «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسَيِّطُونَ مِنْهُمْ» (٨) وأمره بالتفكير بعد أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يُبين

(١) سورة الاسراء: من الآية: ٣٦.

(٢) سورة الاعراف: من الآية: ٣٣.

(٣) رواه الإمام أحمد ج: ١ ص: ٢٣٣ والترمذي ج: ٥ ص: ١٩٩ وقال (حديث حسن صحيح).

(٤) رواه أبو داود في سننه ج: ٣ ص: ٣٢٠.

(٥) سورة النحل: الآية: ٤٤.

(٦) سورة النساء: الآية: ٨٢.

(٧) سورة ص: الآية: ٢٩.

(٨) سورة النساء: الآية: ٨٣.

القرآن للناس في قوله سبحانه «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (١). وغير ذلك من الآيات.

٢ — دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (٢). يدل على جواز التفسير بالرأي إذ لو كان التفسير مقصوراً على النقل لَمَا كان لتخصيص ابن عباس رضي الله عنهما بهذا الدعاء فائدة لاستوائه مع غيره فيه، ولكان دعاؤه لابن عباس رضي الله عنهما بحفظه لا بفقهه وعلم تأويله، فدلَّ على أنَّ المراد بالدعاء أمرٌ آخر غير النقل هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

٣ — أنَّ الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في تفسير بعض الآيات على وجوه ولو كان التفسير عن طريق النقل وحده لَمَا وقع الاختلاف بينهم، فدلَّ على أنَّ تفسيرهم لها كان بالرأي.

الرأي الراجح:

أنَّ التفسير بالرأي منه ما هو جائز ومنه ما هو ممنوع.

فالتفسير الجائز هو التفسير بالرأي المحمود وعليه تُحمَل أدلة المجيزين للتفسير بالرأي.

والتفسير المحرَّم هو التفسير بالرأي المذموم وعليه تُحمَل أدلة المانعين من التفسير بالرأي.

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أقوال الأئمة في

(١) سورة النحل : الآية : ٤٤ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج: ١ ص: ٧٦٦ وصححه الألباني في شرح الطحاوية ص ٢٣٤ .

التحرج من التفسير بالرأي: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يُعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه» (١).

اهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المحمود: (٢)
والكتب المؤلفة في هذا اللون من التفسير كثيرة جدا قديماً وحديثاً ومنها:

- ١ — مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي.
- ٢ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي.
- ٣ — مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات النسفي.
- ٤ — لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين الخازن.
- ٥ — البحر المحيط: لأبي حيان.
- ٦ — تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي.
- ٧ — إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي.
- ٨ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي.
- ٩ — تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي.
- ١٠ — محاسن التأويل: حال الدين القاسمي.

ومن الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المذموم: (٣)

- ١ — تنزيه القرآن عن المطاعن: عبد الجبار الهمداني المعتزلي.

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص ١١٤.
(٢) لا يعنى هذا سلامتها من الخطأ وإنما المراد سلامة طريقتها في التفسير إجمالاً وإلا ففي بعضها أخطاء كثيرة وعلى تفاوت بينها.
(٣) وهذه المؤلفات لبعض اصحاب المذاهب الذين اعتقدوا رأياً ثم حَمَلُوا ألفاظ القرآن عليه والله اعلم.

- ٢ — الكشف : محمود الزمخشري المعتزلي.
- ٣ — مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي.
- ٤ — تفسير كتاب الله العزيز: هود بن مُحَكَّم الهُوَّاري.
- ٥ — تفسير القرآن العظيم: أبو محمد سهل التستري.
- ٦ — حقائق التفسير: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمي.
- ٧ — الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطَّبَّاطبائي.
- ٨ — التفسير الكاشف: محمد جواد مَغْنِيَّة.
- ٩ — هميان الزاد إلى دار المعاد: محمد بن يوسف إظْفَيْش.
- ١٠ — البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الموسوي الخنَوَّي.

خامسا: منهج التفسير الاجتماعي:

حين نزل القرآن الكريم كان الناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، تعددت صور الجاهلية في مجتمعهم وتَنَوَّعت، الشريعة شريعة الغاب، دأبهم السلب والنهب، ومعبودهم الأصنام والأوثان، يثد الرجل منهم ابنته لا لشيء إلا خشية العار، ويثدُّ ابنه لا لشيء إلا خشية الجوع، تشتعل الحروب بينهم السنوات الطوال لأتفه الأسباب واسألوا داحس والغبراء، لا صلة دينية توحد صفوفهم ولا رابطة سياسية تُقَوِّي شوكتهم، ولا مصلحة اقتصادية تربط بينهم.

نزل القرآن وهم على هذه الحال، بل أشد، فهدب أخلاقهم، وصَحَّح عقيدتهم وشَدَّ أزرهم، وجَدَّد عزمهم، وَوَحَّد صفهم، ونشر الفضيلة بينهم، وتبع عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، فأقرَّ الصحيح، وحَدَّر من السيِّء فإذا بهذه الأمة في سنوات معدودة تنقلب من أمة مستضعفة لا يُؤبه

بها، ولا عبرة ولا مكانة ولا هيبة لها بين الدول، إلى أعظم الأمم، وصاحبة السيف والقلم.

فانتشرت الفضيلة، وساد الدين، وقويت شوكة المسلمين، واتسعت دولتهم. ففي القرآن علاج للأمراض الاجتماعية، وحلول للمشكلات السياسية، والقضايا الأسرية.

ولهذا اتجهت طائفة من المفسرين يعتنون بهذه الآيات و يتوسعون في تفسيرها طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه، ويتعرف على علته، حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا وجده توسّع في شرحه وبيانه، وحث قومه على التزامه فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير وهو الإصلاح الاجتماعي.

والمفسرون كلهم يتناولون هذه الآيات ويفسرونها إلا أنّ طائفة منهم تقف عندها فتطيل الوقوف، وتربط بينها وبين ما هو سائد في مجتمعاتهم مما هو مخالف لها. فتتميز تفسيرها بهذه الميزة، واصطبغ بهذه الصبغة.

والمؤلفات التي سلكت هذا المسلك كثيرة منها:

- ١ — تفسير المنار: محمد رشيد رضا.
- ٢ — تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي.
- ٣ — تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت.
- ٤ — صفوة الآثار والمفاهيم: عبد الرحمن بن محمد الدوسري.
- ٥ — في ظلال القرآن: سيد قطب.

سادساً: منهج التفسير البياني:

نزل القرآن الكريم بلسان عربيٍّ مبينٍ على أمةٍ كانت تُقيم للشعر أسواقاً وللخطابة ندوات، وتَعُدُّ الشعر ديواناً وسجلاً للمفاخر^(١).

نزل القرآن الكريم على أمةٍ تمسك بزمام البلاغة والفصاحة، وعُرِفَتْ بحسن الأداء، وجمال المنطق، وسلامة التعبير، وما يزال الناس بعد أربعة عشر قرناً يُردِّدون قصائدهم ويحفظون خطيبهم، وهم يعدونها مثلاً للبلاغة والفصاحة، وحين نزل القرآن مَلَكَ أَلْبَابَهُمْ وَأَسَرَ عَقُولَهُمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ كُلَّ مَأْخُذٍ.

ذلك «أنه في كل شأن يتناوله يختار له أشرف المواد وأمسها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للإمتزاج، ويضع كلَّ مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحقُّ بها، وهي أحقُّ به، بحيث لا يَجِدُ المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يَجِدُ اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين، لا يوماً أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور، وتجيء العصور فلا المكان يُريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبغي عن منزله جِوْلاً.. وعَلِ الجملة يَجِيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان»^(٢).

وخلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أموراً جملتها النظم الفريد العجيب، الحسن، المخالف لأساليب العرب، والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجَزَلَة وأصح المعاني الحسنة»^(٣).

(١) انظر المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم: د. كامل سفعان ص ٥.

(٢) النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز ص: ٩٢.

(٣) بيان إعجاز القرآن: لأبي سليمان الخطابي ص: ٦٥.

فاتجهت همة طائفة من المفسرين إلى هذه الوجوه البيانية وأولوها
عنايتهم واتسعت الدراسات حولها.

وظهر هذا اللون من التفسير في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم وفي
تفسير الصحابة رضي الله عنهم، وأشهر من عُرف عنه ذلك هو ابن عباس
رضي الله عنهما حيث كان يُكثر من التفسير اللغوي، ويرجع فيه إلى
أشعار العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتركيب^(١) وسار على
نهجه تلاميذه كمجاهد وغيره.

ثم ظهرت المؤلفات العديدة في عصر التدوين مثل (مجاز القرآن)
لأبي عبيدة مَعْمَر بن الْمُثَنَّى وكتاب (معاني القرآن) للفرّاء وكتاب
(نظم القرآن) للجاحظ.

وتتابعت المؤلفات فظهرت كتب عديدة تناولت إعجاز القرآن الكريم
من هذا الجانب، وكتب تناولت التفسير كلّهُ وأولت البيان عناية كتفسير
(الكشاف) للزمخشري، واعتنت كتبٌ بالمناسبات وهي من أوجه البيان
ككتاب البقاعي (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وكتاب
السيوطي (تناسق الدرر في تناسب السور)، ومن هذا اللون تفسير الألويسي
(روح المعاني).

ولكن هذه المؤلفات لم تؤصّل هذا المنهج البياني وتُحدّد معالمه وإنما
تناول كل منها جانباً أو جوانب معدودة.

ولكنّ أهل اللغة والبلاغة في العصر الحديث أطالوا النظر والتفكير
ووضعوا معالم لهذا المنهج في التفسير ونستطيع أن نُجمل خطوات المنهج

(١) خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: د. محمد رجب البيومي ص: ١٢.

البياني في التفسير فيما يلي:

أولاً: أن يجمع المفسر الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض ويتدبرها جميعاً ويُفسرها كذلك.

ثانياً: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها.

ثالثاً: أن يدرس دراسة خاصة ما حول النَّصِّ كتاريخه وأسباب نزوله وجمعه وكتابته وقراءته ونحو ذلك من علوم القرآن.

رابعاً: ثم يُقدِّم دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص، البيئة المادية في الأرض والسماء والجبال والسهول والأودية، والبيئة المعنوية في تاريخ هذه الأمة ونُظُمِها وأغرفِها وعاداتها وتقاليدها.

خامساً: دراسة النَّصِّ القرآني في مفرداته وذلك بدراسة:

أ — استعمالات هذه المفردة لغوياً.

ب — دراسة استعمالاتها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدلولها في كل موضع.

سادساً: دراسة النَّصِّ القرآني في معانيه المركبة، وذلك بطريق العلوم الأدبية من نحوٍ وبلاغة.

من نحوٍ. على أنه أداة من أدوات بيان المعنى وتحديد.

ومن بلاغة.. على أنها هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القول في الأسلوب القرآني، مع التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة كلٍّ منها، ولمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته.

تلكم هي أبرز الخطوات التي رسمها الأستاذ أمين الخولي للتفسير
البياني^(١).

إلا ان هذه الخطوات ظلت مجرد نظرية ولم تخرج بعدُ دراسة تطبيقية
كاملة لهذا المنهج، وكلّ ما صدر من مؤلفات حتى لأمين الخولي نفسه، إنما
هي محاولات جُزئية بعيدة عن الهدف واعترف هو نفسه بقصوره وعدم
قدرته على ذلك قائلا «وأولى لنا أن نؤثر هذه الحقيقة على أن نكذب على
أنفسنا وعلى الأجيال فنزعم الكفاية الكاملة، والقدرة الموفرة، ولئن لم
يكن لنا من الكمال إلا الشعور بالنقص فذلك أجل بنا من التزّيد
الزائف»^(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فإنّ من المؤلفات القليلة في هذا المنهج:

- ١ — من هدي القرآن: القادة والرسل.
- ٢ — من هدي القرآن .. في رمضان.
- ٣ — من هدي القرآن .. في أموالهم.
- ٤ — من هدي القرآن .. السلام والإسلام.
- ٥ — من هدي القرآن .. القَسْمُ القرآني.
- ٦ — من هدي القرآن .. القرآن والحياة.
- ٧ — من هدي القرآن .. الطغيان في العلم والمال والحكم.
- ٨ — من هدي القرآن .. الجنديّة والسّلم.
- ٩ — من هدي القرآن .. حكومة القرآن.
- ١٠ — من هدي القرآن .. الفن والبيان في القرآن.

(١) من كتاب (التفسير معالم حياته، منهجه اليوم) للأستاذ أمين الخولي من ص ٣٥—٤٤.

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: ص: ٤٦—٤٧.

- ١١- من هدي القرآن .. شخصية محمد.
١٢- من هدي القرآن .. الحكم بما أنزل الله .
وكل هذه دراسات للأستاذ أمين الخولي .
١٣- التفسير البياني للقرآن الكريم .
١٤- مقال في الإنسان (دراسة قرآنية) .
١٥- الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية) .
١٦- القرآن وقضايا الانسان .

وكلها مؤلفات للدكتورة عائشة عبد الرحمن .

وهذه المؤلفات وغيرها كما قلت ليست إلا تطبيقاً جزئياً لهذا المنهج ولازال هذا المنهج بعيداً عن التطبيق الكامل .

سابعاً: منهج التذوق الأدبي:

التذوق للقرآن الكريم حركة نفسية، وانطباع ذاتي، لا يملك الإنسان له رداً، ولا يستطيع له منعاً، بل لابد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى .

ونقصد بهذا معنى دقيقاً يشعر به كُُلُّ من يواجه النصوص القرآنية ابتداءً وينسكب في حِسِّه بمُجرَّد الاستماع لهذا القرآن، وقد يستطيع ان يَصِفَ هذه القِيَمَ الشعورية بكلمات، وقد لا يستطيع، ويرجع هذا إلى الصلة بين القِيَمَ الشعورية والقِيَمَ التعبيرية، فقد تحتاج الانسان مشاعر لا يجد في الكلمات كلَّها ما يستطيع التعبير بها عنها، ولذلك حين استمع نفرٌ من الجن إلى القرآن لم يجدوا من الكلمات في وصف ما شعروا به إلا أنَّه عجباً .

وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يُبينُ هذا المعنى فيقول: «إِنَّ في هذا القرآن سرّاً خاصّاً يشعر به كلُّ من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أنَّ هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يُدرِكها العقل من التعبير، وأنَّ هنالك عنصراً ما ينسكب في الحسِّ بمُجرد الاستماع لهذا القرآن»^(١).

ولذلك فإنَّ من المشاعر التي تنسكب في حسِّ مُستمع القرآن ما لا يُستطاع التعبيرُ عنه بالكلمات، وهذا سيد قطب — وحسبك به — يعترف باستحالة ذلك فيقول:

«إِنَّ إيقاع هذا القرآن المباشر في حِسِّي محال أن أترجمه في ألفاظي وتعبيراتي، ومن ثَمَّ أَحِسُّ دائماً بالفجوة الهائلة بين ما أَسْتشعره منه وما أترجمه للناس في هذه الظلال»^(٢).

وليس من السهل أن نُكَبِّلَ المُفَسِّرَ وقد انسكبت في داخله هذه المشاعر وهذه الأحاسيس فنمنعه من التعبير عنها بما يراه من الكلمات ما دام لَمْ يَخْرُجْ عن معاني النصوص ودلالاتها، ومادام لم يشطح في ألفاظه.

ونستطيع أن نقول بعد هذا أنَّ التذوق الأدبيَّ للقرآن الكريم يقوم على الموازنة بين (الذات) و(الموضوع).

فللذات حقها في جانب الاستغراق في النصِّ والشعور به، بحيث لا

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، ج٦: ص: ٣٣٩٩.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، ج٤: ص: ٢٠٣٨.

يَصِلُ إلى الاستغراق الصوفيِّ التَّامِّ الذي يطغى على النصِّ و يَنْبُذُ المعاني الظاهرة.

وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي، وحدوده الشرعية، والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم، والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح.

إنَّ الموازنة بين الذات والموضوع هي التي تستقر بصاحبها في ميدان التذوق الأدبي، وبقدر التوازن يكون الإستقرار والثبات والسلامة.

فإنَّ طغت الذات على الموضوع خرج عن نطاقه إلى نطاق التفسير الصوفي الذي يعتمد على الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق.. وَجَنَحَ بصاحبه إلى الخيال الجارف الذي لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول راسخة، بل يموج و يضطرب كما تضطرب الريشة في الهواء، ومن هنا نفذ الباطنيون إلى الإلحاد في تفسير القرآن الكريم حيث لا ارتباط بالنص ولا بمدلوله، بل إنسلاخ منه.. وإنسلاخ من الدين.

وإنَّ طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق الأدبي إلى نطاق التفسير العلمي البحت وضاعت جوانب جذبات النفس، وارتباطها بالنص وأصبح المفسر والنص كتلتين منفصلتين لا تمازج بينهما، ولا تجاذب وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آله لا تفاعل بينها وبين معمولها^(١).

(١) انظر كتابي (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) ج-٣ ص ٩٨٣-٩٨٤.

وقد وفق الله الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى فألّف تفسيراً كاملاً
للقرآن الكريم على هذا الوجه من التفسير هو الذي شقّ طريقه، وهو الذي
وضع معالمه، وهو الذي قام به فلم يكذّب يُعرف إلاّ به، ولم يكذّب يسلكه أحد
من بعده.

إعراب القرآن الكريم

تعريفه:

الإعراب لغة: الإبانة يقال أعرب الكلام: بيّنه. وعَرَّبَ منطقَه: أي هَدَّبَه من اللحن، والإعراب الذي هو النحو: إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب^(١).

واصطلاحاً: اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً وتقديراً^(٢) ولا يعرف الإعراب في اللغات العصرية إلا في العربية والحبشية والألمانية^(٣).

أما إعراب القرآن الكريم: فهو ضبط كلماته، والبعد عن اللحن في نطقها حتى يظهر معناها الصحيح.

أهمية هذا العلم:

تظهر مكانة هذا العلم لكون الإعراب يبين المعنى، ويميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، ولا يمكن أن يفهم النص القرآني الفهم الصحيح ما لم ينطق بكلماته النطق الصحيح، والإعراب هو سبيل النطق الصحيح بالكلمات القرآنية.

ويروى أنه قدم إعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقال: من يقرؤني شيئاً مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال: إن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فقال

(١) لسان العرب: مادة (عرب) ج ١ ص ٥٨٩.

(٢) معجم القواعد العربية: عبد الغني الدقر ص ٦٦.

(٣) المعجم الأدبي: جبور عبد النور ص ٢٧.

الأعرابي أو قد برىء الله من رسوله؟ إن يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي فدعاه فأخبره الأعرابي بالقصة فقال عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابي. فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ»^(١). فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم. فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يُقرء القرآن إلا عالم باللغة»^(٢).

وقال يحيى بن عتيق قلت للحسن: يا أبا سعيد. «الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، و يقيم بها قراءته؟ قال: حسن يا ابن أخي فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها»^(٣).

نشأته وتطوره:

لما اتسعت الفتوحات الإسلامية اختلط العرب بالأمم الأعجمية، ودخل كثير من هذه الأمم في الإسلام وكان بين العرب والعجم اختلاط واشتراك فظهرت عوامل الفساد في لسان بعض العرب وسمِعَ اللحن في التخاطب.

ويعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هبَّ على صوته أولو الغيرة على العربية والإسلام^(٤).

فقد دعا زياد بن سمية — وكان والياً على البصرة — أبا الأسود

(١) سورة التوبة: الآية ٣:

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: الأنباري ص ١٩—٢٠.

(٣) الإقتان: السيوطي ج ١ ص ١٧٩.

(٤) من تاريخ النحو: سعيد الأفغاني ص ٨.

الدؤلي وقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء (يعني العجم) قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس و يعرب به كتاب الله. فأبى ابو الأسود. حتى سمع قارئاً يقرأ إن الله برىء من المشركين ورسوله بالكسر فقال: عَزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله، ورجع من فوره إلى زياد فقال: قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن ابدأ بإعراب القرآن فابعث إلى ثلاثين رجلاً فاحضرهم زياد فاختر منهم رجلاً من عبد القيس فقال له ابو الأسود: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتي فانقط نقطة واحدة فوق الحرف، وإن ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف^(١). فنشأ بذلك علم إعراب القرآن، ومنه نشأ علم النحو وإنما أنشئ هذا العلم للمحافظة على القرآن الكريم من أن يقع اللحن في كلماته، ثم اتسعت رقعته فألف المؤلفون ودرسه الدارسون.

ما يجب على المعرب معرفته:

ويجب على من اراد خوض عباب هذا العلم أمور عدة أهمها^(٢):
الأول: وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد إعرابه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب فإنه فرع المعنى ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، ويختلف الأعراب باختلاف التفسير.

(١) الفرست: ابن النديم ص ٦٠ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء: ابن الأنباري ص ٢٠.
(٢) نقلاً عن البرهان: للزركشي ج ١ ص ٣٠١ وما بعدها والإتقان: السيوطي ج ١ ص ١٧٩ وما بعدها.

الثاني: تجنب الأعراب المحمولة على اللغات الشاذة فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش قال الزمخشري في كشافه: القرآن لا يعمل فيه إلا على ما هو فاشٍ دائر على ألسنة فصحاء العرب، دون الشاذ النادر الذي لا يعثر عليه إلا في موضع أو موضعين.

الثالث: أن يكون مُلماً بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت.

الرابع: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة.

الخامس: تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، فإن لفظ الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له، وكثير من القدماء يسمون الزائد صلة. وعبر عنهم بعضهم بالتأكيد.

السادس: أن يراعي الرسم ومن ثمَّ خطيء من قال في سلسبيلاً أنها جملة أمرية أي سل طريقاً موصلة إليها، لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة.

السابع: قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنع منه. والتمسك به صحة المعنى ويؤول لصحة الإعراب قال ابن جني: «هذا موضع كان أبو علي - رحمه الله - (يقصد شيخه الفارسي) يعتاده، ويُلَّم كثيراً به، ويبعث على المراجعة له، وإلطف النظر فيه، وذلك أنك تجد في كثير من المنشور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب»^(١).

ومثاله قوله تعالى «إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾»^(٢). فالظرف الذي هو (يوم) يقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو (رجع) أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، ولكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر

(١) الخصائص: ابن جني ج ٣ ص ٢٥٥.

(٢) سورة الطارق: الآيتين: ٨ - ٩.

ومعموله . فنحتال للإعراب بجعل العامل فيه فعلاً مقدراً هو (يرجعه) يعني يرجعه يوم تبلى . ودل عليه المصدر (رجعه) ودلّ رجعه على يرجعه دلالة المصدر على فعله .

وكقوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ »^(١) قال ابن جني: «(فـ)إذ» هذه في المعنى متعلقة بنفس قوله «لمقت الله»، أي يقال لهم: لمقت الله إياكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفركم، أكبر من مقتكم أنفسكم الآن، إلا أنك إن حملت الأمر على هذا كان فيه الفصل بين الصلة التي هي (إذ) وبين الموصول الذي هو (لمقت الله) فإذا كان المعنى ومنع جانب الإعراب منه أضمرت ناصباً يتناول الظرف ويدل المصدر عليه حتى كأنه قال بآخره: مقتكم إذ تدعون»^(٢) .

وقد يقع في كلامهم هذا تفسير معنى، وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضره مخالفة ذلك .

أهم المؤلفات فيه :

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة سلك مؤلفوها اتجاهات مختلفة فمنهم من اقتصر على إعراب القرآن ومشكله مثل مكّي، ومنهم من عرض لإعراب غريب القرآن كابن الأنباري في كتابه (البيان في إعراب غريب القرآن) ومنهم من جمع بين أوجه القراءات والإعراب مثل (معاني القرآن) للفرّاء (والمحتسب) لابن جني و(الحجة) لابن فارس^(٣) .

(١) سورة غافر: الآية: ١٠ .

(٢) الخصائص: ابن جني ج ٣ ص ٢٥٦ .

(٣) انظر مقدمة التبيان في إعراب القرآن: للعكبري ص ج، د تحقيق علي البجاوي .

وممن ألف في هذا العلم:

١ - أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ت (٣٣٨ هـ) وكتابه (إعراب القرآن) طبع في ثلاثة أجزاء كبار بتحقيق الدكتور زهير غازي زاهد.

٢ - ابن خالويه ت (٣٧٠ هـ) وكتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) طبع في مجلد في مائتين وخمسين صفحة.

٣ - مكي بن أبي طالب القيسي ت (٤٣٧ هـ) وكتابه (مشكل إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور حاتم الضامن.

٤ - أبو البركات بن الأنباري ت (٥٧٧ هـ) وكتابه البيان في غريب إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق د. طه عبد الحميد طه.

٥ - أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت (٦١٦ هـ) واسم كتابه (التبيان في إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق علي البجاوي.

٦ - محي الدين درويش (معاصر) واسم كتابه (إعراب القرآن الكريم وبيانه) طبع في عشرة مجلدات.

٧ - محمد علي طه الدرة (معاصر) واسم كتابه (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه) طبع في ستة عشر مجلد.

والمؤلفات غير هذا كثيرة كما قال السيوطي «أفرده بالتصنيف خلائق منهم مكي وكتابه في المشكل خاصة، والخوفي وهو أوضحها، وأبو البقاء العكبري وهو أشهرها، والسمين وهو أجملها على ما فيه من حشو وتطويل»^(١).

(١) الإتيان: السيوطي ج ١ ص ١٧٩.

غريب القرآن الكريم

١ - تعريفه:

للغريب معنيان (لغوي) و(اصطلاحي).

أما في اللغة^(١) فمعنى (عَرَبَ): بَعُدَ و(الْعَرَبُ): النوى والبعد والغريب: الغامض من الكلام ومنه كلمة غريبة، ورجل غريب بعيد عن أهله.

و(غرب) تفيد البعد في المكان، والغموض في الكلام.

وفي الإصطلاح: علم غريب القرآن هو:

(العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم)^(٢).

٢ - موضوعه:

وأما موضوعه فالكلمات التي تحتاج إلى تفسير وبيان في القرآن الكريم.

٣ - أهميته:

معرفة هذا العلم أمر ضروري للمفسر لا بد منه، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله تعالى غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا» وقال مجاهد رحمه الله تعالى «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن

(١) انظر لسان العرب: ابن منظور مادة (عَرَبَ).

(٢) مقدمة تحقيق العمدة في غريب القرآن: مكى بن أبي طالب تحقيق يوسف المرعشلي

يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب» وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدري ما قوله تعالى «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاسِقِينَ»^(٢) حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: أفتحك يعني أقاضيك.

وقال أيضاً ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بشر فقال أحدهما، أنا فطرتها، يعني ابتدأتها.

وجاءه رجل من هذيل فقال له ابن عباس: ما فعل فلان؟ قال: مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الورا. فقال ابن عباس «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ»^(٣) قال: ولد الولد^(٤).

وعلم اللغة ومعرفة غريبها ضروري لمعرفة التفسير ولهذا عقد الخطابي رحمه الله تعالى في كتابه (غريب الحديث) باباً بعنوان (القول فيما يجب على من طلب الحديث من تعلم كلام العرب وتعرف مذاهبها ومصارف وجوهرها)^(٥).

وقال فيه «وملاك الأمر فيما تمس بهم إليه الحاجة منها معرفة أبواب

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ ١ ص ٢٩٢-٢٩٣ والإتقان: السيوطي جـ ١ ص ١١٩.

(٢) سورة الاعراف: الآية: ٨٩.

(٣) سورة هود: الآية: ٧١.

(٤) البرهان: الزركشي: جـ ١ ص ٢٩٣.

(٥) غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي جـ ١ ص ٥٣.

ثلاثة وهي:

أمثلة الأسماء

وأبنية الأفعال.

وجهاات الإعراب.

فإن من لم يحكم هذه الأصول لم يكمل لأن يكون واعياً لعلم. أو
راوياً له وبالحرّي أن يكون ما يفسده منه أكثر مما يصلحه»^(١).

ومثل هذا يقال في معرفة غريب القرآن الكريم فإن الخطأ فيه يقع
الخطأ في التفسير والبعد عن الصواب حتى من الكبار فقد سئل أبو العالية
الرياحي عن معنى قوله تعالى «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»^(٢)
فقال هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر قال الحسن:
مَهْ يَا أَبَا الْعَالِيَةِ! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم ألا
ترى قوله «عن صلاتهم» فلما لم يتدبر أبو العالية حرف (في) و(عن)
تنبه له الحسن إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال «في صلاتهم»
فلما قال «عن صلاتهم» دلّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت.

ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ»^(٣) أنه من عشوت أعشوعشوا: اذا نظرت. وغلطوه في ذلك،
وانما معناه يُعْرِضُ، وانما غلط لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت
عنه.

(١) المرجع السابق: نفس الموضع.

(٢) سورة الماعون: الآية: ٥.

(٣) سورة الزخرف: الآية: ٣٦.

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمُوسَى فَدْرِيًّا» (١).
قال: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق ومنه «دم فراغ» أي لا قود
فيه ولا دية. وقال بعض الأدباء: أخطأ أبو عبيدة في المعنى، لو كان قلبها
فارغاً من الحزن عليه لما قال: «لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا» (١) لأنها
كادت تبدي به (٢).

قال الزركشي رحمه الله تعالى معقّباً على هذه الأخبار: «وهذا الباب
عظيم الخطر ومن هنا تهب كثير من السلف تفسير القرآن وتركوا القول
فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في
الدين» (٣).

٤ — نشأته وتطوره:

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بيانا
يخاطب الوفود بما يفهمون، و يكلمهم بما يعرفون، وهذه طريقة القرآن في
الخطاب وقد كان خلقه — عليه الصلاة والسلام — القرآن.

وكان الصحابة رضي الله عنهم وهم أهل اللسان العربي يدركون
قوله ويفهمون معناه واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن فتحت البلدان
واتسعت رقعة البلاد الإسلامية فاختلف العرب بالروم والفرس والأحباش
والأقباط والبربر وغيرهم من الشعوب فشابت الأذواق شوائب فالتبست
عليهم بعض الألفاظ، وغمض عليهم بعض المعاني، فاتجهت طائفة من
العلماء لتفسير ما يحتاج إلى بيان من الفاظ القرآن والحديث. وسمي هذا

(١) سورة القصص: الآية: ١٠.

(٢) البرهان: الزركشي ج ١: ص ٢٩٥.

(٣) المرجع السابق: ج ١: ص ٢٩٥.

العلم (غريب القرآن) و(غريب الحديث).

ولم تكن هذه التسمية لهذا العلم هي الوحيدة في أول الأمر بل كان يسمى:

١ - معاني القرآن:

قال ابن الصلاح: «وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معنى القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري»^(١).

٢ - إعراب القرآن:

وقد ورد في الحديث «أعربوا القرآن والتمسوا غرائب»^(٢) قال السيوطي «المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة»^(٣).

٣ - مجاز القرآن:

وليس المراد به (المجاز) عند علماء البلاغة وإنما المراد معاني ألفاظه ولذا فإن أبا عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات (مجازة كذا) و(تفسيره كذا) و(معناه كذا) و(غريبه) و(تقديره) و(تأويله) على أن معانيها واحدة أو تكاد ومعنى هذا أن كلمة (المجاز) عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة (المجاز) فيما بعد»^(٣).

(١) الإيتقان: السيوطي ج١ ص ١١٣.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ج٢ ص ٤٣٩ وقال الذهبي أجمع على ضعفه.

(٣) انظر مقدمة مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى تحقيق د/فؤاد سزكين ج١

ص ١٨-١٩.

واختلف في أول من ألف في هذا العلم فقليل:

- ١ - ابن عباس رضي الله عنهما في إجاباته على أسئلة نافع بن الأزرق وهي مائة وتسعة وثمانين سؤالاً. وقد ضمنها السيوطي كتابه الإتيقان^(١).
- ٢ - وقيل أبان بن تغلب البكري (ت ١٤١هـ) في كتابه (غريب القرآن).

- ٣ - وقيل أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن).

والمؤلفات في هذا العلم تنقسم من حيث الترتيب إلى قسمين:

- ١ - قسم جاء ترتيب الألفاظ فيه على ترتيب السور فيذكر اسم السورة ثم يذكر الغريب من كلماتها. ومن المؤلفات في ذلك مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لأبي قتيبة، ومعاني القرآن للزجاج.
- ٢ - وقسم رتبها على حروف الهجاء مثل كتاب (تنوير القلوب) للسجستاني وكتاب (مفردات غريب القرآن) للأصفهاني وكتاب (تحفة الأريب) لأبي حيان.

٥ - أهم المؤلفات في غريب القرآن:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة جداً قال السيوطي (أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون)^(٢) ومنها:

- ١ - مسائل نافع بن الأزرق: وقد قام بتحقيقها ودراستها الدكتورة عائشة عبد الرحمن وبلغت المسائل ١٨٩ مسألة.

- ٢ - مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) وقام بتحقيقه

(١) انظر الاتقان: السيوطي ج ١ من ص ١٢٠ الى ص ١٣٣.

(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ١١٣.

الدكتور محمد فؤاد سزكين في مجلدين.

٣ — معاني القرآن: الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) في مجلدين.

٤ — تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة ت (٢٧٦هـ).

٥ — معاني القرآن واعرابه: الزجاج ت (٣١١هـ) في خمسة مجلدات.

٦ — نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم لمحمد بن عزيز العزيزي السجستاني ت (٣٣٠هـ).

٧ — العمدة في غريب القرآن: منسوب لمكي بن ابي طالب القيسي ت (٤٣٧هـ) تحقيق يوسف المرعشلي.

٨ — المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ت (٥٠٢هـ).

٩ — الأريب بما في القرآن من الغريب: ابن الجوزي ت (٥٩٧هـ).

١٠ — تحفة الأريب في تفسير الغريب: لابي حيان الأندلسي ت (٧٤٥هـ) طبع بتحقيق د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي. وطبع أخرى بتحقيق سمير المجذوب.

١١ — معجم ألفاظ القرآن الكريم: وضعه أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١٢ — كلمات القرآن تفسير وبيان: حسنين مخلوف.

قال السيوطي: «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم ابو عبيدة، وابو عمر الزاهد، وابن دريد، ومن أشهرها كتاب (العزيزي) فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة.. ومن أحسنها المفردات للراغب»^(١)

(١) الإتيان: السيوطي ج ١ ص ١١٣.

الوجوه والنظائر

التعريف:

الوجوه لغة: جمع وجه، ووجه كل شيء مُسْتَقْبَلُهُ.

ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به (١).

والنظائر لغة: جمع نظيرة، وهي المِثْلُ والشبه في الأشكال، الأخلاق، والأفعال والأقوال (٢).

والوجوه والنظائر في الاصطلاح: اختلف العلماء في تعريفهما الى قولين:

الأول: لابن الجوزي وآخرين وهو: «أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر (وهو النظائر) (٣) وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى (هو الوجوه) فإذاً النظائر: اسم للألفاظ والوجوه: اسم للمعاني» (٤).

الثاني: للزركشي وآخرين وهو: أن الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة. والنظائر كالألفاظ المتواطئة (٥).

(١) لسان العرب: ابن منظور ج٣ ص ٥٥٥-٥٥٦.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص ٢١٩.

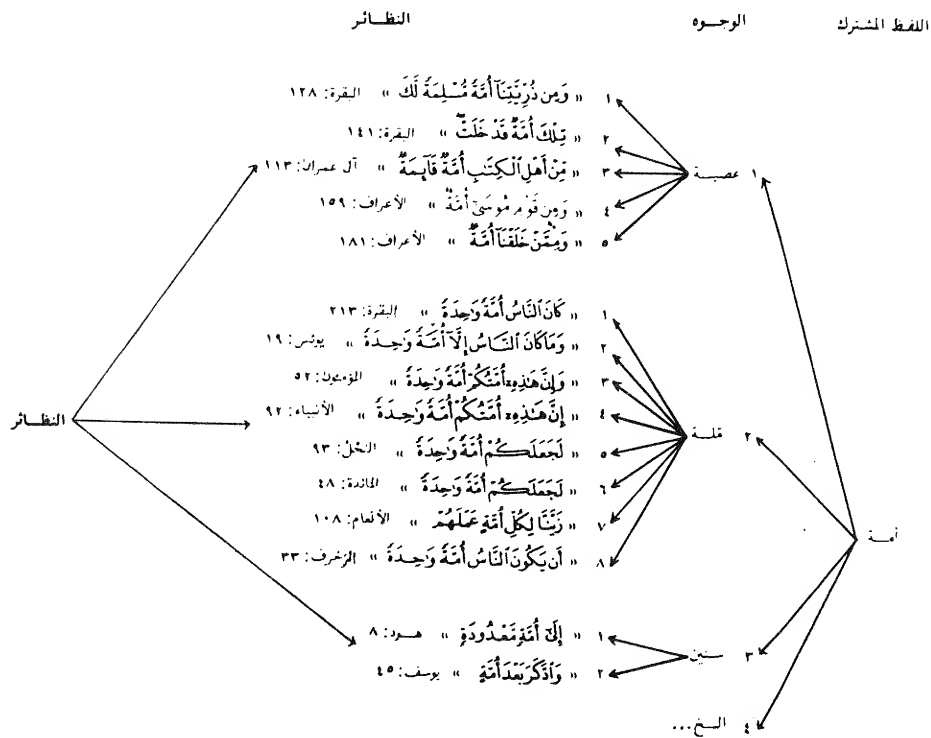
(٣) عبارة (هو النظائر) زيادة يقتضيها السياق، وقد وردت كذلك في كشف الظنون ج٢ ص ٢٠١ الذي نقل هذا النص بأكمله.

(٤) نزهة العين الناظر: ابن الجوزي ص ٨٣.

(٥) البرهان: الزركشي ج١ ص ١٠٢.

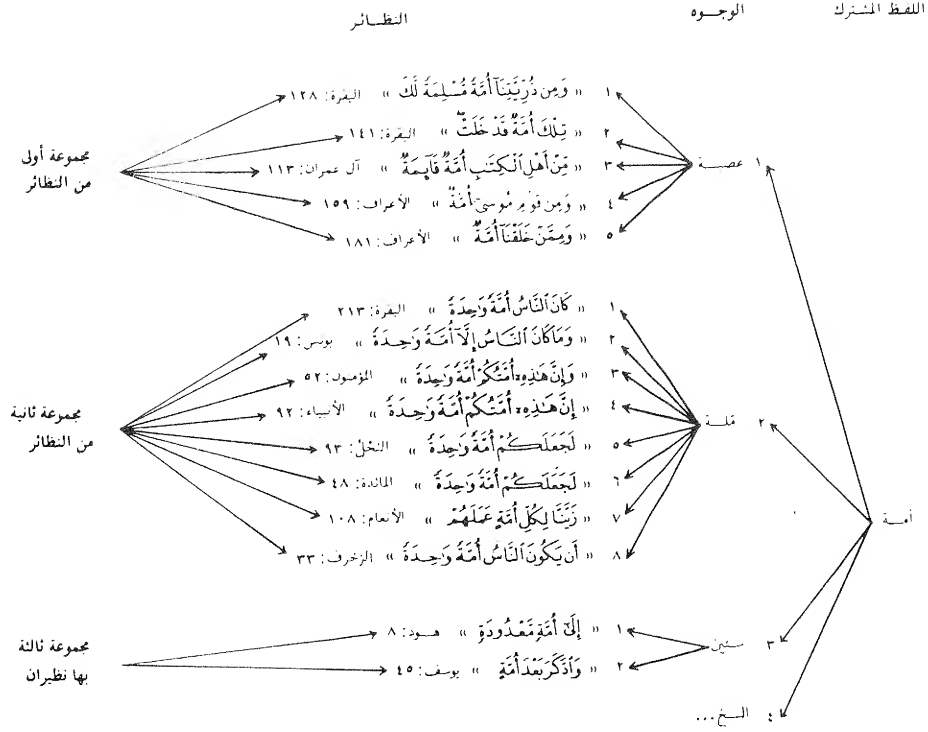
وفي عبارة الزركشي شيء من الغموض ولعلها تصبح أقرب إلى الذهن إذا قلنا الوجوه هي المعاني المختلفة التي تكون للفظ الواحد في سياقات متعددة فيسمى اللفظ من أجل ذلك مشتركاً يعني تشترك فيه معان متعددة^(١).

ولتوضيح القولين انظر الرسمين التاليين.



رسم بياني للتعريف الأول للوجوه والنظائر عند ابن الجوزي وغيره

(١) من مقدمة كتاب التصاريف: يحيى بن سلام ص ١٧-١٨ للدكتورة الفاضلة هند شلبي ولم أر من حقق القول في الوجوه والنظائر مثلها وفقها الله تعالى. وعنها نقلت الرسمين البيانيين.



رسم بياني للتعريف الثاني للوجوه والنظائر عند الزركشي

ويظهر أن التعريفين يتفقان في معنى الوجوه. ويختلفان في تعريف النظائر^(١). وينبغي أن نذكر أنه ليس من الضروري أن تكون الكلمة المشتركة على لفظ واحد وحركة واحدة — كما جاء في التعريف الأول — لأن كتب الوجوه والنظائر جرت على استعمال اللفظة ومشتقاتها على السواء^(٢).

(١) المرجع السابق: ص ٢١-٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٤.

موضوع هذا العلم:

هو الكلمات القرآنية التي تكرر ورودها في القرآن الكريم بلفظها أو ما اشتق منه لمعاني مختلفة.

أهمية هذا العلم:

ثراء اللغة العربية وشمولها ليس نتاج جملتها ومجموع ألفاظها فحسب بل ثراء مفرداتها، إذ أن كثيراً من مفردات اللغة العربية ثرية بالمعاني والمدلولات المتعددة والمختلفة بحيث يمكن التعبير بلفظ واحد عن معاني مختلفة فضلاً عن أن كل معنى من هذه المعاني له لفظ خاص به أو يدل على معاني أخرى غيره.

وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين فجاء تعبيره عن المعنى الواحد حيناً بالألفاظ المختلفة وعبارات متنوعة، وعبر بلفظ واحد أيضاً عن معاني متعددة وفي هذا فضلاً عن الصور البيانية، والوجوه البلاغية دفع للملل والسأم وإظهار للعبرة بمظهر الجودة.

وتوسع القرآن الكريم في ذلك وجاوز قدرة أهل اللغة أنفسهم وعجزوا عن مجاراته فكان هذا كما قال الزركشي من أنواع معجزات القرآن الكريم^(١).

وتظهر أهمية هذا العلم في معرفة مدلول الألفاظ وأنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن إلا إذا علم مدلول كل لفظ وعرف معناه وأدرك استعمالات الألفاظ، بل لا بد من فهم ذلك وإدراكه لما يترتب عليه من اختلاف في فهم العقيدة الصحيحة، واستنباط الأحكام الشرعية وإلا فقد أخطأ الفهم

(١) البرهان: الزركشي ج١ ص ١٠٢.

وبعد عن الصواب وتجراً على القول في القرآن بغير علم ولهذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها» قال حماد فقلت لأيوب: أهو أن يرى له وجوها فيهاب الإقدام عليه؟ قال: نعم، هو هذا^(١).

فمن لم يعرف الوجوه التي يحتملها اللفظ أخطأ في فهم العقيدة الصحيحة فالشرك مثلاً ورد في القرآن الكريم لمعان مختلفة فقد ورد:

١ — بمعنى الشرك بالله الذي يعدل به غيره «وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، شَيْعًا»^(٢).

٢ — وبمعنى الطاعة لغير الله من غير عباده «فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا»^(٣) «إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ»^(٤).

٣ — والشرك في الأعمال بمعنى الرياء. قال تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»^(٥).

فمن لم يدرك هذه المعاني للشرك وقع في اللبس، وكذا في استنباط الأحكام الشرعية فالطعام — مثلاً — ورد في القرآن لمعان مختلفة منها:

(١) مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده ج٢ ص ٤١٥ قال أخرجه ابن عساكر وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٢ ص ٥٦ وقال: هذا حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه إنما هو من قول ابي الدرداء، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص ٣٥٧ والنهاية في غريب الحديث: لابن الأثير ج٥ ص ١٥٩.

ولسان العرب: لابن منظور ج١٣ ص ٥٥٦ وقال (أي ترى له معاني يحتملها فتهاجب الإقدام عليه).

(٢) سورة النساء: الآية: ٣٦.

(٣) سورة الاعراف: الآية: ١٩٠.

(٤) سورة ابراهيم الآية: ٢٢.

(٥) سورة الكهف: الآية: ١١٠.

١ — بمعنى الطعام الذي يأكله الناس « فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا » (١)
« الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ » (٢).

٢ — بمعنى الشراب « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا » (٣) « إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْكَرِفَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي » (٤).

٣ — بمعنى الذبائح « وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ » (٥).

٤ — بمعنى السمك المملح « أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ » (٦).

فمن لم يدرك هذه الوجوه لم يعرف الصواب والتبس عليه الحق
بالباطل ومن عرف هذه الوجوه وأن للكلمة أكثر من معنى تهيب الإقدام
على التفسير كما أشار ابو الدرداء رضي الله عنه.

نشأته وتطوره:

نشأ هذا العلم في عصر مبكر في صدر الإسلام فقد نقلنا آنفا قول أبي
الدرداء رضي الله عنه «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها»
وقد كان هذا معلوماً عند الصحابة رضي الله عنهم ولهذا قال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما حين بعثه إلى الخوارج

(١) سورة الأحزاب: الآية: ٥٣.

(٢) سورة قريش: الآية: ٤.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٩٣.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٤٩.

(٥) سورة المائدة: الآية: ٥.

(٦) سورة المائدة: الآية: ٩٦.

«إذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة وحين قال ابن عباس رضي الله عنهما «يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل. قال علي رضي الله عنه: صدقت. ولكن القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة»^(١).

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين شيء من هذا النوع فقد روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة»^(٢).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «كل ريب: شك، إلا مكاناً واحداً في الطور (رَيْبَ الْمُنُونِ)»^(٣) يعني حوادث الأمور»^(٤).

وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه - أنه قال: «كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب»^(٥).

وروي عن أبي العالية أنه قال «كل آية في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا إلا قوله تعالى «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ»^(٥) فالمراد أن لا يراها أحد»^(٤).

وروي الطبري عن الضحاك (..) وكل شيء في القرآن من الألم فهو الموجع»^(٦).

(١) انظر: الاتقان: السيوطي ج ١ ص ١٤٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٧٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢٠ (ضعيف).

(٣) سورة الطور: الآية: ٣٠.

(٤) الإتقان: السيوطي ج ١ ص ١٤٤.

(٥) سورة النور: الآية: ٣٠.

(٦) جامع البيان: الطبري ج ١ ص ٢٨٤.

وروى عن سعيد بن حبير أنه قال: العفو في القرآن على ثلاثة أنحاء:
نحو: تجاوز عن الذنب.

ونحو: القصد في النفقة «وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ» (١).

ونحو: في الاحسان فيما بين الناس «إِلَّا أَنْ يَفْقُوتَ أَوْ يَفْضَحُوا الَّذِي يَدِيرُهُ
عُقْدَةُ الزَّكَاءِ» (٢)(٣).

وغير ذلك من الشواهد الدالة على نشأة هذا العلم في عصر الرسول
صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

إلا أن التدوين لم يكن في هذا العصر المبكر بل إن أقدم كتاب
وصل إلينا يرجع إلى القرن الثاني وهو (الأشباه والنظائر في القرآن
الكريم) لمقاتل بن سليمان ت (١٥٠هـ).

وقد نسبت كتب في الوجوه والنظائر قبل هذا إلى عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما وإلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله
عنهما (٤).

أهم المؤلفات فيه:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة جداً منها ما طبع ومنها ما زال مخطوطاً
ومنها ما هو مفقود ومن أهم المؤلفات:

١ — الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان البلخي
ت (١٥٠هـ).

(١) سورة البقرة: الآية: ٢١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٣٧.

(٣) الاتقان: السيوطي: ج ١ ص ١٤٥.

(٤) نزهة الأعين النواظر: ابن الجوزي ص ٨٢.

٢ — ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: ابو العباس المبرد
ت(٢٨٥هـ).

٣ — تحصيل نظائر القرآن: الحكيم الترمذي ت(٢٨٥هـ).

٤ — الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ابو عبد الله الدامغاني
ت(٤٧٨هـ).

٥ — نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابو الفرج عبد الرحمن
بن الجوزي ت(٥٩٧هـ).

٦ — كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: ابن العماد
ت(٨٨٧هـ).

هذه بعض المؤلفات في هذا العلم وغيرها كثير والله اعلم.

قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر

للتفسير قواعد مهمة تعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى وعلى المفسر معرفتها والالتزام بها، وهي قواعد جليلة، وعديدة، ومن أهمها:

أولاً: كل عام يبقى على عمومته حتى يأتي ما يخصه.

بمعنى أن لفظ الآية الذي يحتمل أكثر من معنى يفسر بكل هذه المعاني حتى يقوم دليل على تخصيص أحدها دون الباقي قال الطبري رحمه الله تعالى «غير جائز إدعاء خصوص في آية عام ظاهرها إلا بحجة يجب التسليم لها»^(١).

وقد التزم رحمه الله تعالى هذه القاعدة في تفسيره ففي تفسير قوله تعالى «وَالِدْرِمَّاءُ»^(٢) قال: «والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا إن الله أقسم بكل والد وولده لأن الله عَمَّ كل والد وما ولد وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ولا خبر بخصوص ذلك ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه فهو على عمومته كما عَمَّه»^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى «فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا»^(٤) قال الطبري «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان مثلاً يوري بالمنطق والرجال يورون بالمكر مثلاً وكذلك الخيل

(١) جامع البيان: الطبري ج ٢ ص ٥٣٩.

(٢) سورة البلد: الآية ٣.

(٣) جامع البيان: الطبري ج ٣ ص ١٢٥.

(٤) سورة العاديات: الآية ٢-٣.

تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحاً فداخلة فيما أقسم الله به لعموم ذلك بالظاهر»^(١).

وقال في تفسير «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا»^(٢): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أقسم بالمغيرات صباحاً ولم يخص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكل مغيرة صباحاً فداخلة فيما أقسم الله به»^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى «وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ»^(٤) قال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه آمنهم من خوف، والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه ولم يخص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام ولا من الجذام دون العدو بل عمَّ الخبر بذلك فالصواب أن يُعمَّ كما عمَّ جل ثناؤه»^(٥).

ثانياً: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

قال العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى «وهذه القاعدة نافعة جداً بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير» ثم قال «فمتى راعيت هذه القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها فقولهم: نزلت في كذا وكذا معناه: أن هذا مما

(١) المرجع السابق: جـ ٣٠ ص ١٧٨.

(٢) سورة العاديات: الآية: ٢-٣.

(٣) المرجع السابق: جـ ٣٠ ص ١٧٨.

(٤) سورة قريش: الآية: ٤.

(٥) المرجع السابق: جـ ٣٠ ص ٢٠٠.

يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها»^(١).

وقال ابن تيمية — رحمه الله تعالى «قولهم هذه الآية نزلت في كذا... لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق»^(٢).

وقد روى الطبري في تفسير قوله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ - وَهُوَ الَّذِي خَصَّاصَ»^(٣) عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد»^(٤) مع أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق^(٥).

ثالثاً: اختلاف القراءات في الآية يعدد معانيها:

لا يخلو اختلاف القراءات من حالتين:

الاولى: أن يكون الإختلاف في وجوه النطق بالحروف والحركات كالإظهار والإدغام والإمالة والمد ونحو ذلك وهذا لا تعلق له بالتفسير كبير.

الثانية: ان يكون الإختلاف في الكلمات أو اختلاف الحركات الذي يؤدي إلى اختلاف المعنى وهذا له تأثير في التفسير.

فإن الإختلاف في القراءات يؤدي إلى تعدد المعاني للآية فلكل قراءة معناها الخاص بها وهذا ظاهر لا يحتاج إلى تمثيل.

-
- (١) القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن سعدي ص ٧.
 - (٢) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص ٤٤ و ٤٧ وبين أول النص وباقيه جملة اعتراضية فيها أمثلة لأسباب النزول حذفها اختصاراً.
 - (٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٤.
 - (٤) جامع البيان: ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٢٣٢.
 - (٥) المرجع السابق: ج ٤ ص ٢٢٩.

رابعاً: المعنى يختلف باختلاف رسم الكلمة:

فقد يكون لبعض الكلمات أكثر من معنى إلا أن رسمها في المصحف يرجح أحد المعنيين ففي قوله تعالى «سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَآثَاءَ اللَّهِ» (١).

اختلف العلماء في قوله (فلا تنسى):

١ — أنها للنفي وتكون بمعنى الإخبار.

٢ — أنها للنهي.

ورسم الكلمة يرجح أنها للنفي لوجود الألف المقصورة ولو كانت لا للنهي لصار الفعل بعدها مجزوماً بحذف الحرف المعتل في آخره وكتبت الكلمة هكذا (تنس) فدل بقاؤ الألف في الرسم على أن لا للنفي وليست للنهي (٢).

وفي قوله تعالى: «وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» (٣) قولان للعلماء:

الأول: أن الضمير (هم) في موضع رفع مؤكد لواو الجماعة. وعلى هذا فإنه يجوز الوقف على (كالو) والمعنى إذا كال المطففون أنفسهم.

الثاني: أن الضمير (هم) في موضع نصب أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف وهو المكيل والموزون.

(١) سورة الأعلى: الآية: ٦.

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن: القرطبي ج٢٠ ص ١٩ وروح المعاني: الألوسي ج٣٠ ص ١٠٥.

(٣) سورة المطففين: الآية: ٣.

ورسم الكلمة يرجع المعنى الثاني لأنه لو كان المراد المعنى الأول
لأثبت بعد الفعل كالووزنو ألفاً هكذا (كالواهم) و(وزنواهم) فدل
عدمها على رجحان القول الثاني الذي لا يطلبها.

قال الإمام الطبري «والصواب في ذلك عندي الوقف على هم» ثم
قال لو كانت هم كلاماً مستأنفاً كانت كتابة كالوا ووزنوا بألف فاصلة
بينها وبين هم مع كل واحد منهما إذ كان بذلك جرى الكتاب في نظائر
ذلك»^(١).

خامساً: السياق القرآني:

وهذه قاعدة مهمة، فعلى المفسر أن لا ينظر في الكلمة أو الجملة مستقلة
بنفسها بل عليه أن ينظر إليها في سياق النص القرآني فإن ذلك معين على
تحديد المعنى المراد لا سيما إذا كان للكلمة أو الجملة أكثر من معنى.
وبهذه القاعدة رجح الطبري وغيره من المفسرين بعض الأقوال وردوا
غيرها ففي تفسير قوله تعالى «وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ خَلْقِي»^(٢). قال الطبري: «وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله «وَلَقَدْ
عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِي»^(٢) يعني به الشياطين وأن
قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(٢) يعني به الناس. وذلك قول لجميع أهل
التأويل مخالف. وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: «وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ
اشْتَرَاهُ» معنيٌّ به اليهود دون الشياطين: ثم هو — مع ذلك — خلاف ما
دل عليه التنزيل، لأن الآيات قبل قوله «وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ»^(٢)
وبعد قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(٢) جاءت من الله بدم اليهود وتوبيخهم

(١) جامع البيان: الطبري: ج ٣٠ ص ٥٨ وانظر البحر المحيط: ابن حبان ج ٨ ص ٤٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٠٢.

على ضلالهم وذمهم لهم على نبذهم وحى الله وآيات كتابه وراء ظهورهم مع علمهم بخطأ فعلهم . فقله « وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ »^(١) أحد تلك الأخبار عنهم^(٢) .

وفي تفسير قوله تعالى : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ »^(٣) نقل الطبري عن قتادة قوله : هؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن غيره أنهم علماء بني إسرائيل الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم ثم رجح القول الثاني فقال « وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدل منهم كتاب الله ، وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل ولم يجر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر . . ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تلوها »^(٤) .

وفي تفسير قوله تعالى « سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ »^(٥) قيل : سأريكم مصيرهم وقيل : سأريكم جهنم . وقيل : سأريكم ديارهم في الشام وقيل سأريكم دار فرعون وهي مصر . ورأى الطبري أنها للتهديد لمن عصاه وخالف أمره ثم قال « وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه : « سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ » أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه ، وفَرَطَ في العمل لله ، وحاد عن سبيله ، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه ، أو عما لم

(١) سورة البقرة: الآية: ١٠٢ .

(٢) جامع البيان: الطبري ج ٢ ص ٤٥٦ .

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٢١ .

(٤) جامع البيان: الطبري ج ٢ ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

(٥) سورة الأعراف: الآية: ١٤٥ .

يجر له ذكر^(١).

وفي تفسير قوله تعالى « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي . . . »^(٢) قيل : نزلت في قوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا أنهم يحبون الله . وقيل : نزلت رداً على النصارى في ادعائهم أن ما يقولون عن عيسى عليه السلام إنما هو محبة لله . وقد رجح ابن جرير الطبري القول الثاني «لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ولا قيل هذه الآية ذكر لقوم ادعوا أنهم يحبون الله ولا أنهم يعظمونه»^(٣).

سادساً : التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة :

وذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فلا يصح تفسيره بغير الأظهر والأغلب والأبين من كلام العرب قال الإمام الطبري «غير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل»^(٤) وقال في موضع آخر «كلام الله الذي خوطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل من معانيه ، إلا أن تأتي دلالة أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك يجب التسليم لها»^(٥).

وقد التزم الطبري رحمه الله تعالى هذه القاعدة في تفسيره فقال في تفسير قوله تعالى « وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ »^(٦) بعد أن ذكر

(١) جامع البيان : الطبري ج ١٣ ص ١١٢ .

(٢) سورة آل عمران : الآية : ٣١ .

(٣) جامع البيان : الطبري ج ٦ ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٤) جامع البيان : الطبري ج ٨ ص ٥٧٨ .

(٥) المرجع السابق : ج ٨ ص ٤٨٢ .

(٦) سورة البقرة : الآية : ١٠٢ .

أقوال العلماء في معنى (خلاق) قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى (الخلاق) في هذا الموضع: النصيب. وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب»^(١).

سابعاً: تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي:

إذا كان للكلمة الواحدة معنيان أو أكثر أحدهما لغوي والآخر شرعي واختلف المعنيان قدم المعنى الشرعي لأن القرآن الكريم نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة إلا أن تدل قرينة على إرادة المعنى اللغوي^(٢).

مثال ما قدم فيه المعنى الشرعي قوله تعالى في المنافقين « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيكَ بِهِ »^(٣) فالصلاة لها معنيان لغوي هو (الدعاء) وشرعي وهو هنا صلاة الجنازة، فيقدم المعنى الشرعي لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب^(٤).

ومثال ما قدم فيه المعنى اللغوي لقرينة قوله تعالى « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ »^(٥) فالمراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل حديث مسلم (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال «اللهم صلّ عليهم»)^(٦).

(١) جامع البيان: ج ٨ ص ٤٥٣.

(٢) انظر البرهان: الزركشي ج ٢ ص ١٦٧ وأصول التفسير: ابن عثيمين ص ٢٩.

(٣) سورة التوبة: الآية: ٨٤.

(٤) أصول التفسير: ابن عثيمين ص ٢٩.

(٥) سورة التوبة: الآية: ١٠٣.

(٦) صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٥٦ وانظر أصول التفسير: ابن عثيمين ص ٢٩ - ٣٠.

أهم المؤلفات في التفسير ومناهجه

أولاً: المؤلفات في التفسير:

لا يعرف التاريخ كتاباً أَلَفَ فيه المؤلفون، ودرسه الدارسون وصَنَّفَ فيه المصنفون، مثل القرآن الكريم.

ولذا فإنه ليس بالمستطاع — إن لم يكن من المستحيل — حصر جميع المؤلفات عن القرآن قديماً وحديثاً، وليس المقام هنا مقام استيفاء، وإنما سنذكر تعريفاً موجزاً لتفاسير معدوده ومؤلفيها كما يلي:

- ١ — تعريف ببعض المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفيها.
- ٢ — تعريف ببعض المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفيها.
- ٣ — تعريف ببعض المؤلفات في التفسير في العصر الحديث ومؤلفيها.

١ — المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفوها:

وهي مؤلفات كثيرة عديدة ومن أشهرها:

١ — جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

مؤلفه: هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد في (آمل) في طبرستان سنة ٢٢٤ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠ (١).

كان عالماً بالقراءات، وإماماً في التفسير، بارعاً في الحديث وشيخاً للمؤرخين، انفرد في الفقه بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلدون (٢).

قال عنه ابن الخطيب «جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل

(١) طبقات المفسرين: الداودي ج ٢ ص: ١١٤.

(٢) طبقات المفسرين: السيوطي ص ٩٦.

عصره»^(١). وقال ابن خزيمة «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد ابن جرير»^(٢). وقال عنه السيوطي إنه «رأس المفسرين على الإطلاق»^(٣).

وله مؤلفات عديدة منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع بعد، فمن ذلك:

في علوم القرآن: كتاب في القراءات، (الغرائب)، (التنزيل) (العدد) وكتاب في التفسير و(تاريخ الرجال) في الصحابة والتابعين و(لطيف القول) جمع فيه مذهبه الذي اختاره و(الحفيف) و(التبصير) و(تهذيب الآثار) و(السيط) و(الفضائل) ومن أهم كتبه (تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم).

تفسيره: أمّا تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) فلم يؤلف قبله ولا بعده مثله في موضوعه ولا يزال المفسرون عالة على تفسيره في التفسير بالمأثور، ويتميز تفسيره بمزايا منها:

١ — اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين.

٢ — إلتزامه بالإسناد في الرواية.

٣ — عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.

٤ — ذكره لوجوه الإعراب.

٥ — دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

(١) تاريخ بغداد: ابن الخطيب ج٢ ص: ١٦٣.

(٢) طبقات المفسرين: الداودي ج٢ ص: ١١١.

(٣) طبقات المفسرين: السيوطي ص ٩٥.

وكان هذا التفسير مفقوداً إلى وقت قريب حيث عُثِرَ على نسخة مخطوطة منه عند أحد أمراء حائل وهو حمود بن عبيد الرشيد^(١). فطُبِعَ على هذه النسخة في ٣٠ جزء، ثم نُقِّحَ بعد ذلك وطُبِعَ أخرى سنة ١٩١١م^(٢)، وصُوِّرَت هذه الطبعة عدة مرات بعد ذلك.

وقام الشيخان الفاضلان محمود وأحمد محمد شاكر بتحقيق الكتاب والتعليق عليه ومراجعته وتخريج أحاديثه وصدر منه ستة عشر جزءاً إلى نهاية تفسير الآية ٢٧ من سورة ابراهيم، ثم توقف العمل. نسأل الله أن يهيء من عباده العلماء من يُتِمَّه.

قال النووي: «لم يصنف أحد مثله»^(٣) يعنى تفسير الطبري.

وقال ابو حامد الإسفراييني «لوسافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»^(٤).

وقال ابن تيمية «وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة. وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير، والكَلْبِي»^(٥).

(١) مذاهب التفسير الاسلامي: جولد تسهر ترجمة د. عبد الحليم النجار ص ١٠٩ والتفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٢٠٧.

(٢) مذاهب التفسير الاسلامي: جولد تسهر ص ١٠٩.

(٣) الإِتْقَان: السيوطي، ج: ٢ ص: ١٩٠.

(٤) طبقات المفسرين: الداودي ج: ٢ ص: ١٠٩.

(٥) مجموع فتاوي ابن تيمية ج: ١٣ ص ٣٨٥.

٢ - تفسير (معالم التنزيل) للبغوي:

مؤلفه: هو الحسين بن مسعود البغوي^(١).

الفقيه المفسر المحدث يلقب بمُحيي السُّنة، كان تقياً ورعاً، إذا ألقى الدرس لا يُلقيه إلا على طهارة، ولد حوالى ٤٣٠ في بلدة «بَغ» في خراسان وتوفي سنة ٥١٠ بمرور الروذ، كان حافظاً للقرآن، عالماً بالقراءات، وبما أثير عن الصحابة والتابعين في التفسير والفقه، ومن أئمة الحديث وحفاظه واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله ورواته، واسع العلم في اللغة وفقهها، والفقه ومسائله.

ومن مؤلفاته (شرح السنة) وهو من أجل كتب السنة و(مصباح السنة) و(التهذيب) في فقه الإمام الشافعي وغير ذلك.

تفسيره:

قال عنه ابن تيمية: «والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة»^(٢).

وقد طُبِعَ هذا التفسير مع تفسير ابن كثير، ثم طبع في حاشية تفسير الخازن، وطبع مستقلاً في أربعة مجلدات ويتميز هذا التفسير بأنه ليس بالطويل المُمِلّ، ولا بالقصير المُخِلّ، وبتفسيره القرآن بالقرآن وبالسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وإيراد أسباب النزول، وذكر الأحكام الفقهية في الآيات القرآنية.

(١) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: لداودي ج١: ص ١٥٧-١٥٨. وفي تفسير البغوي ج١ ص ١٧-٢٥.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص ٧٦.

وإذا رَوَى حديثاً نبوياً ساقه بالإسناد الصحيح أو الحسن وما يرويه عن الصحابة أو التابعين فغالباً لا يذكر الإسناد لأنه ذكر في المقدمة إسناده إلى كل من رَوَى عنه منهم.

و يذكر الاختلافات عن السلف في التفسير من غير ترجيح لأحدها أو قَدْح بشيء منها لاحتمال صحة جميع الأقوال.

لم يكثر في تفسيره من مباحث الإعراب، ونُكِّتِ البلاغة، وتحاشي الخوض في المسائل الكلامية في آيات العقيدة والصفات، واكتفى بإيراد مذهب السلف فيها^(١).

٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية.

مؤلفه: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي^(٢).

ولد سنة ٤٨١ تولى القضاء بمدينة (المَرِيَّة) في الأندلس وهو أحد أعلام الأندلس الحائزين قصب السبق في الفقه والحديث والتفسير والأدب، عَدَّه أبو حيان من أَجَلِّ مَنْ صَنَّفَ في علم التفسير^(٣) توفي رحمه الله تعالى في (لُورَقَه) في المغرب سنة ٥٤١.

تفسيره:

قال عنه ابن جُزَيِّ الغرناطي «وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تأليف مَنْ كان قبله فَهَذَّبَهَا وَلَخَّصَهَا وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة»^(٤).

(١) التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٢٣٦-٢٣٧ وانظر تفسير البغوي تحقيق د. خالد

العك ومروان سوار ج: ١ ص: ٢٢-٢٣.

(٢) انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي ج: ١ ص: ٢٦٠-٢٦١.

(٣) البحر المحيط: أبو حيان ج: ١ ص: ٩.

(٤) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي ج: ١ ص: ١٧.

وعقد أبو حيان مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري أخص وأغوص»^(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجل فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين!! وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة»^(٢).

وابن عطية يذكر الآية في تفسيره ثم يفسرها بعبارة عذبه سهلة، ويورد من التفسير بالمأثور، وينقل عن ابن جرير الطبري و يناقش المنقول أحياناً ويكثر من الإستشهاد بالشعر العربي، ويحتكم إلى اللغة العربية عند توجيه بعض المعاني، ويهتم كثيراً بالصناعة النحوية، ويتعرض كثيراً للقراءات المختلفة و يفسر بعضها ببعض^(٣).

وقد قامت وزارة الاوقاف في المغرب بطبع هذا التفسير فصدرت بعض اجزائه سنة ١٣٩٥ و صدر آخرها سنة ١٤١٢ فجاء في (١٦) جزءاً.

(١) البحر المحيط: أبو حيان ج: ١ ص: ١٠.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٠.

(٣) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٢٤٠.

٤ - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير:

مؤلفه: هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ولد في بُصْرَى في الشام سنة ٧٠٠، طلب العلم في صغره ورحل في طلبه وقدم دمشق وله سبع سنين وتلقى العلوم عن كثير من علماء عصره. وكان له صلة وثيقة مميزة بابن تيمية ومناضلة عنه، وأتباع له في كثير من آرائه وكان يُفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتنح بسبب ذلك، وأوذي^(١) وتوفي سنة (٧٧٤) رحمه الله تعالى.

ومن مؤلفاته البداية والنهاية، والإجتهاد في طلب الجهاد، وجامع المسانيد العشرة، والكواكب الدراري، وغير ذلك.

تفسيره: يُعدُّ تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوِّنَ في التفسير بالمأثور ويُعتبر في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري.

وطريقته في التفسير أن يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة، موجزة، ويجمع الآيات المناسبة لها، ويقارن بينها، وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد^(٢).

ثم يورد الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية و يبين أحيانا ما يُحتج به منها وما لا يُحتج به، ثم يُردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف.

و يُرجِّح بين الأقوال، و يُضَعِّف بعض الروايات، و يصحح آخر و يُعَدِّل بعض الرواة، و يَجْرَح آخرين إذ أنه من أهل العلم بالحديث

(١) طبقات المفسرين: الداودي ج: ١ ص: ١١١.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٢٤٤.

والجرح والتعديل .

وينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات إجمالاً أحياناً، وبالتفصيل حيناً آخر^(١).

وبالجملة يُعَدُّ تفسيره — رحمه الله تعالى — من أفضل المؤلفات في التفسير، وقد طُبِعَ مرات كثيرة مع تفاسير أخرى، ومستقلاً في أربعة مجلدات كبار، واختصره عدد كبير من العلماء، منهم الأستاذ أحمد شاكر، ومحمد نسيب الرفاعي وغيرهما.

٥ — الدر المنثور: السيوطي:

مؤلفه: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ولد سنة ٨٤٩ وتوفي سنة سنة ٩١١ وبعد أن تلقى العلوم وحَصَلَ منها حظاً وافراً انصرف إلى التأليف في وقت مبكر من حياته، ثم تجرد للتأليف في أواخر عمره فاعتزل الناس وترك وظائفه من تدريس وإفتاء.

وكثير من مؤلفاته — رحمه الله تعالى — جَمْعٌ أو تلخيص واختصار لمؤلفاته أو مؤلفات غيره.

ولا تكاد تجد علماً من العلوم الإسلامية أو في اللغة العربية أو التاريخ، إلا وله فيه كتاب هو من أهم المؤلفات فيها، وشهرة مؤلفاته تغني عن الإطالة في سردھا.

تفسيره: ألّف السيوطي — رحمه الله تعالى — كتابه (ترجمان القرآن) ثم أراد أن يختصره وعَلَّلَ هذا بقوله: «فلما ألّفت كتاب (ترجمان القرآن)

(١) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٢٤٥.

وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وتَمَّ بحمد الله في مجلدات، فكان ما أورده فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردة رأيت قصور أكثر الهَمَم عن تحصيله، ورغبتهم في الاختصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر مُصَدِّراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب مُعتبر، وسميته بالدر المنثور في التفسير بالمأثور»^(١).

وتفسير الدر المنثور مثل أغلب كتب السيوطي، قام على الجمع. فقد اكتفى فيه بسرد الروايات عن السلف دون تعقيب بتعديل أو تجريح أو تضعيف أو تصحيح، ولم يَتَخَرَّ الصحة فيما جَمَعَ، وخلَطَ الصحيح بالضعيف^(٢).

وطُبِعَ هذا التفسير في ستة مجلدات وهو بحاجة ماسة إلى عناية طلبة العلم، وخدمته بالتحقيق والتخريج والفهرسة والإخراج.

٢ - المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفوها:

وهي أيضا مؤلفات كثيرة ومنها:

١ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري.

المؤلف: هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري^(٣) المعتزلي الملقب

(١) الدر المنثور: السيوطي ج: ١ ص: ٢.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٢٥٤.

(٣) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي ج: ٢ ص: ٣١٤-٣١٦. وطبقات المفسرين: للسيوطي ص: ١٢٠-١٢١.

بجار الله، ولد سنة ٤٦٧ في زَمْخْشَر من قرى خوارزم، بعد أن تلقى العلم، رحل إلى مكة وألّف فيها تفسيره الكشف، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم، وتوفي فيها سنة ٥٣٨ وهو إمام من أئمة اللغة البارزين فيها حنفي المذهب، معتزلي الاعتقاد، لا يأنف من إنتمائه إلى الإعتزال، بل يجاهر به، ويدعو إليه، ومن مؤلفاته (أساس البلاغة) (الفائق في غريب الحديث) و(المفصل) في النحو و(المقامات) و(ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) و(الأحاجي النحوية) وغيرها.

تفسيره:

اعتنى الزمخشري في تفسيره هذا ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم وبلاغته وتميّز بذلك حتى كان مرجعاً في ذلك. وخلا هذا التفسير من الحشو والتطويل، وإيراد الاسرائ依ليات إلا القليل.

والزمخشري قليل الاستشهاد بالأحاديث ويورد أحياناً الأحاديث الموضوعة، خاصة في فضائل السور.

وملأ تفسيره بعقائد المعتزلة والاستدلال لها وتأويل الآيات وفقها، ويدس ذلك دَسّاً لا يُدرّكه إلا حاذق حتى قال البلقيني «استخرجت من الكشف إعتزالاً بالمناقش»^(١).

وهو شديد على أهل السنة والجماعة ويذكرهم بعبارات الإحتقار ويرميهم بالأوصاف المُقذّعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء^(٢).

(١) الإِتقان في علوم القرآن: السيوطي ج٢: ص٢: ١٩٠.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي ج١: ص٤٦٥.

ولهذه الأمور وغيرها نبّه كثير من العلماء إلى أخذ الحيطة والحذر عند المطالعة في تفسيره أو النقل منه، فقال الذهبي «محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله فكن حذراً من كشفه»^(١) مع أنني أرى جواز النظر فيه لمن رسخت قدمه في السنة كما قال ابن حجر وابن خلدون رحمهما الله تعالى.

٢ - مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي:

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين^(٢)، ولد في الرّي سنة ٥٤٤ هـ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ جمع كثيراً من العلوم فكان إماماً في التفسير، وعلوم الكلام، والعلوم العقلية، والمنطق، والفلسفة واشتهر بذلك وفاق فلاسفة عصره، وكان طبيباً حاذقاً، وقد ندم على الاشتغال بعلم الكلام وكان يقول: ليتني لم اشتغل بعلم الكلام. ثم يبكي^(٣). ويقول: لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن^(٣).

ومن مؤلفاته: مفاتيح الغيب، والمحصول في علم الأصول، درة التنزيل وغرة التأويل، والأربعين في أصول الدين، وعصمة الأنبياء ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ومسائل الطب وغير ذلك.

التفسير: ألف الرازي كتابين في التفسير: الأول: التفسير الكبير

(١) ميزان الاعتدال: الذهبي ج٥: ص: ٢٠٣.

(٢) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي ج٢: ص: ٢١٣-٢١٧. وطبقات المفسرين

للسيوطي ص: ١١٥-١١٦.

(٣) طبقات المفسرين: الداودي ج٢: ص: ٢١٥.

وسَمَّاه (مفاتيح الغيب)، والثاني التفسير الصغير وسماه (أسرار التنزيل وأنوار التأويل)(١).

ويُعَدُّ تفسيره (مفاتيح الغيب) أوسع التفاسير في علم الكلام، فقد تأثر كثيراً بالعلوم العقلية فتوسع فيها وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والمسائل الطبية، وملاً تفسيره بهذه العلوم حتى قيل عنه (فيه كل شيء إلا التفسير)(٢).

ولم يتم الرازي تفسيره هذا، بل قيل إنه بلغ في التفسير إلى سورة الأنبياء، ثم جاء تلميذه الخُوَيُّ فشرع في تكملته ولم يتمه، وأتمه نجم الدين القُمُولي، وقيل إن الخُوَيِّ أكمله، وكتب القُمُولي تكملة أخرى غيرها، ولا يكاد القارئ يلاحظ تفاوتاً بين أساليبيهم(٣).

وقد طبع هذا التفسير في ٣٢ جزءاً وتقع في ١٦ مجلداً كبيراً.

٣ - البحر المحيط: أبو حيان:

المؤلف: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان(٤)، ولد في إحدى قرى غرناطة سنة ٦٥٤ وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٥.

قال عنه الداودي «نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه،

(١) التفسير الكبير: الرازي ج: ١ ص: (هـ) مقدمة الناشر.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: السيوطي ج: ٢ ص: ٢٩٠.

(٣) التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٢٩٣.

(٤) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي ج: ٢ ص: ٢٨٦-٢٩٠.

ومؤرخه، وأدبيه»^(١).

ومن مؤلفاته (التَّهَرُّ المَادُّ من البحر) (تُحْفَةُ الأَرِيْبِ بما في القرآن من الغريب) وغير ذلك.

التفسير: هو (البحر المحيط) طبع في ثمانية مجلدات كبار، توسع فيه أبو حيان في الإعراب والمسائل النحوية وذكر الخلاف بين النحويين، والمعاني اللغوية للمفردات واستعمالاتها، وتوجيه القراءات نحويًا وبالبلاغة ووجوها حتى صار تفسيره أقرب إلى كتب النحو. وهو مع ذلك لم يُهْمَل نواحي التفسير الأخرى، فهو يُورد أسباب النزول والقراءات، والناسخ والمنسوخ ولا يُهْمَل الأحكام الفقهية للآيات^(٢).

٤ — إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود العمادي.

المؤلف: هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي^(٣) ولد في إحدى قرى القسطنطينية سنة ٨٩٣ وتوفي فيها سنة ٩٨٢ تَوَلَّى القضاء والتدريس والفتوى مما أشغله عن الإكثار من التأليف.

تفسيره: اعتمد أبو السعود في تفسيره هذا على تفسير (الكشاف) للزمخشري و(أنوار التنزيل) للبيضاوي، إلا أنه لم يَغْتَرِّ بما جاء في الكشاف من الاعتزاليات فلم يذكرها إلا للتحذير منها، وإن كان وقع

(١) طبقات المفسرين: الداودي ج: ٢ ص: ٢٨٦.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٣١٨.

(٣) انظر ترجمته في (العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم) المطبوع مع كتاب (الشقائق النعمانية) لطاش كبرى زاده من ص ٤٣٩ الى ص ٤٥٤.

فيما وقع فيه من ذكر الأحاديث الموضوعة في فضائل السور.

وتَمَيَّز هذا التفسير بالعناية ببيان وجوه البلاغة في القرآن الكريم وإظهار دقائق المعاني في التراكيب القرآنية، مع عناية ببيان المناسبات بين الآيات وهو مُقِلٌّ من رواية الإسرائيليات ومن المباحث الفقهية^(١).

وطبع هذا التفسير في أربعة مجلدات كبار.

٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي.

المؤلف: هو أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الألوسي^(٢)، ولد في الكَرْخ من بغداد سنة ١٢١٧ نبغ في كثير من العلوم حتى صار علامة القطر العراقي، وتوفي في بغداد سنة ١٢٧٠ وله عدد من المؤلفات.

التفسير: التزم الألوسي رحمه الله تعالى في تفسيره مذهب أهل السنة وكان كثيراً ما يرد آراء المعتزلة ويُفَنِّدها، وَيَكْرَهُ على أقوال الشيعة وَيُبْطِلُها واستطرد في تفسيره إلى العلوم الكونية، والفلكية، وتوسَّع في المسائل النحوية، ويستوفي مذاهب الفقهاء في آيات الأحكام وأدلتهم، وينقد القصص الإسرائيلية ويعيب إيرادها في التفسير.

وتَمَيَّز تفسير الألوسي بالتفسير الإشاري^(٣) والإكثار منه حتى عَدَّ بعضُ العلماء تفسيره من المؤلفات في التفسير الإشاري، كما أنَّ الألوسي يذكر القراءات في الآية، ولا يتقيد بالمتواتر منها، ويعتني بإظهار

(١) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٣٤٧-٣٥٢.

(٢) انظر ترجمته في (أعيان القرن الثالث عشر): خليل مردم بك ص ٤٧-٥٢.

(٣) وهو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد ايضاً.

المناسبات بين الآيات، وبين السور، وأسباب النزول، والاستشهاد بالشعر على ما يذهب إليه من المعاني^(١). ويقع هذا التفسير في ثلاثين جزءاً في خمسة عشر مجلداً.

٣- المؤلفات في التفسير في العصر الحديث ومؤلفوها:

كثرت المؤلفات في علم التفسير في هذا العصر ومنها:

١ - محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي^(٢).

المؤلف: هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم ويعرف بجمال الدين القاسمي، ولد سنة ١٢٨٣ في دمشق بدأ التدريس في وقت مبكر وكان سلفي المذهب، وعُرف عنه عفة اللسان والقلم توفي رحمه الله تعالى في دمشق سنة ١٣٣٢.

ومن مؤلفاته المشهورة (قواعد التحديث) و(إصلاح المساجد من البدع والعوائد) و(تاريخ الجهمية والمعتزلة) و(موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) وغير ذلك.

التفسير: ويُعرف هذا التفسير بتفسير القاسمي. طبع في سبعة عشر مجلداً، وجَعَلَ المُجَلَّدَ الأول مقدمة لتفسيره ذكر فيه قواعد وفوائد تُعين على معرفة التفسير وتُطْلِعُ على بعض أسرارهِ ودقائقهِ.

وفي هذا التفسير كثير من النقول الطويلة عن علماء السلف وكثيراً ما يستشهد رحمه الله تعالى بالأحاديث الصحيحة ويرجع في اللغة إلى كتبها وعاب عليه بعض النُقّاد كثرة النقل وزعموا أنَّ الرجل ليس له رأي

(١) التفسير والمفسرون: الذهبي ج: ١ ص: ٣٥٦-٣٦١.

(٢) انظر ترجمته في مقدمة كتابه (قواعد التحديث).

شخصي. والذي حَمَلَه على ذلك أَنَّ البدع انتشرت وَعَمَّت حتى صار لها أتباع وحتى صار لها من المنتسبين إلى العلماء من يُدافع عنها ويُحارب من يحاربها، فَلَمَّا أَلَفَ الشيخُ تفسيره أدرك أَنَّ أقواله لن يكون لها من القيمة ما لأقوال الأئمة السابقين فكان ينتقي من أقوال السلف ما فيه علاج لأمراض مجتمعة.

٢ - تفسير المنار: محمد رشيد رضا.

المؤلف: هو محمد رشيد بن علي بن رضا^(١)، ولد في قرية قلمون جنوب طرابلس الشام سنة ١٢٨٢هـ سافر إلى مصر، وهو من تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده، وأصدر في مصر مجلة (المنار) وفيها كان ينشر التفسير قبل أن يطبعه في كتاب، وكان له نشاط في الدعوة ونشر الكتب السلفية وتوفي رحمه الله تعالى في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ.

وله مؤلفات كثيرة منها (تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده) في ثلاثة مجلدات (الوحي المحمدي) (نداء للجنس اللطيف) (الوحدة الإسلامية) وغير ذلك.

التفسير: اقترح الأستاذ محمد رشيد رضا على الشيخ محمد عبده أن يُلقني درساً في التفسير فوافق على ذلك وبدأ الأستاذ يُدَوِّن ما يسمعه من أستاذه ويرتبه ثم ينشره في مجلة المنار، ولهذا عُرِفَ هذا التفسير بتفسير المنار، وقد فَسَّرَ الشيخ محمد عبده إلى الآية ١٢٥ من سورة النساء ثم تُوفِّي فواصل الأستاذ رشيد التفسير حتى وصل إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف،

(١) صدر عن الشيخ رشيد عدد من المؤلفات منها رشيد رضا المفسر حسيب السامرائي ورشيد رضا صاحب المنار - لأحمد الشرباصي، ورشيد رضا لإبراهيم العدوي.

ثم توفي وطبع هذا التفسير في إثني عشر مجلداً، وقد قام الأستاذ محمد بهجت البيطار بتفسير بقية سورة يوسف، وضمَّ تفسير السورة بعضه إلى بعض وأصدره في كتيب مستقل بعنوان «تفسير سورة يوسف عليه السلام» وطبع سنة ١٣٥٥هـ.

ونستطيع أن نُقسِّم هذا التفسير إلى قسمين: القسم الأول الذي كتبه قبل وفاة شيخه محمد عبده، والقسم الثاني الذي كتبه بعد وفاته، أمَّا القسم الأول فيتصف بقلَّة التفسير بالمأثور وظهور التفسير بالرأي، والتحكيم العقلي، وبيان سنن الله تعالى في المجتمعات، والإصلاح الاجتماعي.

أما القسم الثاني فظهرت فيه عناية الأستاذ رشيد بالتفسير بالمأثور وكثرة الاستشهاد والاستدلال بالأحاديث، ولهذا قال رحمه الله تعالى «هذا وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفتُ منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها»^(١).

٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لابن سعدي.

المؤلف: هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي^(٢) ولد في غنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧ توفي والداه وهو صبي فكفلته زوجة أبيه وكانت تقدمه على أولادها وادخلته مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه في الرابعة عشرة من عمره، واشتغل في طلب العلم فقرأ الكتب وحفظ المتون ثم تصدى للتعليم ونشر العلم حتى ذاع صيته.

(١) تفسير المنار: رشيد رضا ج١: ص ١٦.

(٢) انظر ترجمته في كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف عبد اللطيف آل الشيخ.

ومن مؤلفاته (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وهو خلاصة لهذا التفسير، ومنها (القواعد الحسان لتفسير القرآن) ومنها (المواهب الربّانية من الآيات القرآنية) ومنها (التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيقة) و(الفواكه الشهية في الخطب المنبرية) و(الفتاوى السعدية) وغير ذلك. وتوفي رحمه الله تعالى في عذبة سنة ١٣٧٦هـ.

التفسير:

ويقع هذا التفسير في سبعة مجلدات، ومع هذا فهو تفسير يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى، ويعتمد المعنى الإجمالي للآيات حيث يورد مجموعة من الآيات ثم يفسرها آية آية وقد يتحدث عنها إجمالاً ثم تفصيلاً موجزاً، ويعتني بمعاني الأسماء والصفات، ومناسبة التذييل بها في كثير من الآيات، وكثيراً ما يبين الحكّم والأسرار في بعض الأحكام الشرعية، ويُعرض عن الإسرائيليات، ويستطرد أحياناً في ذكر فوائد الآيات وما تدل عليه من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية.

٤ - في ظلال القرآن: سيد قطب

المؤلف: هو سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم (١) ولد سنة ١٩٠٦م تخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٣٣م فراول مهنة التدريس سنوات، ثم موظفاً في وزارة المعارف، ثم أوفد إلى أمريكا للإطلاع على مناهج التعليم فيها لتطبيقها في مصر وكان القصد من إيفاده التخلص من نشاطه في الدعوة، وعاد من أمريكا وقد زاد حماسه ونشاطه للدعوة، حيث انضم إلى

(١) صدر عن سيد قطب رحمه الله تعالى عدد كبير من المؤلفات من أهمها: (سيد قطب الشهيد الحى) للاستاذ صلاح الخالدي.

جماعة الاخوان المسلمين وكان يردد (لقد ولدت عام ١٩٥١) وهو عام انضمامه إليهم.

وحين وقع الصدام بين الأخوان وقادة ثورة يوليو في مصر كان سيد في مقدمة المعتقلين، وحُكِمَ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ألف خلالها في السجن تفسيره (في ظلال القرآن) وكان هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن حيث قرأه الرئيس العراقي عبد السلام عارف فتوسط عند جمال عبد الناصر لإخراجه بطلب من علماء العراق، وأفرج عنه سنة ١٩٦٤م فواصل مسيرة الدعوة فأعيد إلى السجن وصدر ضده حكم بالإعدام ونُفذ الحكم سنة ١٩٦٦م رغم نداءات العالم الإسلامي واحتجاجاتهم، وقد طُلب من سيّد أن يكتب اعتذاراً من جمال عبد الناصر ووعده بالعفو إن فعل فرفض وقال «إنَّ أصعب السبابة الذي يشهد الله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً يُقرّبه حُكْم طاغية». وقال حين طلب منه الاعتذار «لن اعتذر عن العمل مع الله» وقال «لماذا استرحم؟ إن سُجنت بحق فأنا أرضى حُكم الحق وإن سُجنت بباطل فأنا أكبر من أن استرحم الباطل».

وله مؤلفات كثيرة منها: «معالم في الطريق» وهو من أهم كتبه ومن أسباب إعدامه ومنها «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«المستقبل لهذا الدين» وغير ذلك.

التفسير:

والكتاب وصف أدبي متميز للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو منهج لم يُسبق إليه سيد من قبل فمنهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم، والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات، ومطابقته مع

المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة، ثم دراسة الإيقاع الصوتي، والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب منهج لم يسبق له مثيل في علم التفسير.

أمّا طريقته في ذلك فخلاصتها أنّه يُقدّم لكل سورة بمقدمة يبين فيها موضوع السورة ومحورها وأهم سماتها، ثم يعرض لمقاطعها ويربط بينها ببيان المناسبة وهكذا.. مع الإعراض عن المباحث اللغوية والنحوية وذكر الخلافات الفقهية وتاركاً الخوض فيما أبهمه القرآن مهملاً للإسرائيليات.

وطبع التفسير مرات عديدة آخرها وأشهرها في ستة مجلدات كبار.

٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي

المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي^(١). ولد رحمه الله تعالى في (تنبه) في شنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية الآن سنة ١٣٢٥هـ.

تلقى العلوم الشرعية واللغة العربية ودرس الأدب دراسة واسعة ودرس الفقه المالكي، ونبغ فيه وحين أذى الحج اتصل بعلماء المملكة فأعجب بهم وعزم على البقاء في هذه البلاد فأذن له الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى بالتدريس في المسجد النبوي، ثم انتقل إلى الرياض للتدريس في المعاهد العلمية، ثم كلية الشريعة، وحين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة عُيِّن مُدرّساً فيها، كما كان أستاذاً زائراً في المعهد العالي للقضاء بالرياض، وعُيِّن عضواً في هيئة كبار العلماء وعضواً في المجلس التأسيسي

(١) ترجم له تلميذه الشيخ عطية سالم في آخر تفسير الشيخ الشنقيطي.

لرابطة العالم الإسلامي، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٣هـ بمكة.
وله مؤلفات كثيرة منها (منع جواز المجاز في المُنزَل للتعبد
والإعجاز). و(دفع إيهام الإضطراب عن آي الكتاب) و(آداب البحث
والمناظرة) وغير ذلك.

التفسير: وصل المؤلف رحمه الله تعالى في تفسيره هذا إلى آخر سورة
المجادلة، ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطية محمد سالم وصدر
التفسير في عشرة مجلدات.

تميز هذا التفسير بميزتين (إحداهما) تفسير القرآن بالقرآن، وقد التزم أن
لا يُبيّن القرآن إلا بقراءة سَبْعِيَّة ولم يعتمد البيان بالقراءات الشاذّة
(والثانية) بيان الأحكام الفقهية ودقة الاستنباط، وحسن التفصيل وقوة
الاستدلال.

كما تضمن هذا التفسير تحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه
من صرف وإعراب، وتحقيق بعض المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد
الأحاديث.

و يُعَدُّ هذا التفسير بحق من خير المؤلفات في التفسير قديماً وحديثاً ومن
أتبّعها للسنة وأبعدها عن البدعة، والقارىء فيه يجد رائحة علماء السلف
ونقاء سريرتهم، وصفاء عقيدتهم، ودقة استنباطهم، وسعة علمهم، رحم
الله مؤلفه رحمة واسعة.

ثانيا: المؤلفات في دراسات التفسير ومناهجه:

وهي مؤلفات كثيرة عديدة سنذكر بعضها إجمالاً، ثم نُعرِّف بعدد قليل منها، فمنها إجمالاً:

١ — التيسير في قواعد علم التفسير: تأليف: محمد بن سليمان الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩ دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد المطرودي.

٢ — الفوز الكبير في أصول التفسير: تأليف أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦.

٣ — مذاهب التفسير الإسلامي: للمستشرق جولد تسهر ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار.

٤ — اتجاه التفسير في العصر الحديث: للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير رحمه الله تعالى.

٥ — نشأة التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية: الدكتور محمود بسيوني فوده.

٦ — الاتجاهات السنية والمعتزلية في تأويل القرآن: د. التهامي نفرة.

٧ — المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات: للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي (في مجلدين).

٨ — مناهج في التفسير: د. مصطفى الصاوي الجويني.

٩ — اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: د. محمد إبراهيم الشريف.

١٠ — أصول التفسير وقواعده: الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

١١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري: فهد بن عبد الرحمن الرومي (٣ مجلدات).

والمؤلفات غير هذه كثيرة وسنُعرّف بمؤلفات أخرى هي:

١- الإكسير في علم التفسير: الطُوفى.

ومؤلفه سليمان بن عبد القوي الصرصري الطُوفى^(١)، ولد بقرية طُوفى من أعمال صرصر من سواد بغداد سنة ٦٥٧ هـ كان فقيهاً وشاعراً وأديباً وله مصنفات كثيرة منها (جدل القرآن) و(بغية الواصل في معرفة الفواصل) وغير ذلك.

أما كتابة (الإكسير في علم التفسير) فطبع في جزء واحد، حققه الدكتور عبد القادر حسين واشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أقسام أما المقدمة فبيان موجز لمعنى التفسير والتأويل. وأما القسم الأول فقسم فيه الكلام إلى قسمين قسم مُتَضَح اللفظ والمعنى لا حاجة له الى تفسير، وقسم يحتاج إلى تفسير لعدم الإيضاح في لفظه ومعناه. وفي القسم الثاني بيّن المؤلف ما ينبغي للمفسر النظر فيه من العلوم التي اشتمل عليها القرآن، وإذا علمنا أنّ الحديث عن المقدمة والقسمين السابقين كان في (٢٨) صفحة وبقية الكتاب كله عن القسم الثالث، علمنا أنّ هذا القسم هو محور الكتاب ولُبّه، وتحدث فيه طويلاً عن علمي المعاني والبيان لكونهما — كما يقول — من أنفس علوم القرآن، وجاء ذلك في أكثر من ثلاث مئة صفحة، وقد أشار إلى أنه اختصر هذا القسم من كتاب ابن الاثير الجزري (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور)^(٢).

(١) انظر ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ج٢ ص ٣٦٧ والدرر الكامنة في

أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج٢ ص: ٢٤٩.

(٢) طبع هذا الكتاب المجمع العلمي العراقي بتحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد.

٢ - مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية

المؤلف: أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني الدمشقي. أبو العباس تقي الدين ابن تيمية. ولد في حرّان سنة ٦٦١ وهو أشهر من أن يُعرّف، طار صيته وعلت سمعته، واشتهر في الآفاق بعلمه وجهاده، سُجن وأوذى، فصبر واحتسب ومات معتقلا في السجن بدمشق سنة ٧٢٨.

وله مؤلفات عديدة جمع الشيخ عبد الرحمن القاسم وابنه محمد بعضها في خمسة وثلاثين مجلدا ووضعا لها فهارس في مجلدين، ومن كتبه درء تعارض العقل والنقل في أحد عشر مجلدا تحقيق د. محمد رشاد سالم ومنها (منهاج السنة النبوية) في تسعة مجلدات بتحقيق محمد رشاد سالم أيضا، ومنها (الصارم المسلول على شاتم الرسول) ومنها (إقتضاء الصراط المستقيم) ومنها (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) ومنها (الرسالة التدمرية) و(العقيدة الواسطية) و(الإيمان) و(بُغْيَةُ المُرْتَد) وغير ذلك كثير.

أمّا كتابه (مقدمة في أصول التفسير) فترجع تسميته بهذا الإسم إلى قوله في المقدمة (فقد سألتني بعض الأخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه)^(١).

ولذلك وَضَعَ بعض المتأخرين هذا العنوان لها. ومن العبارة السالفة نعرف موضوع هذه المقدمة، وهي من أهم ما كتب في هذا الموضوع وقَسَم الحديث فيها إلى خمسة فصول، بيّن في (الفصل الاول) أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، وتحدّث في

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زررور ص: ٣٣.

(الفصل الثاني) عن الخلاف الواقع بين السلف في التفسير، وفي (الفصل الثالث) تحدّث عن الاختلاف في التفسير من حيث المستند. واقتصر في هذا الفصل على الحديث عن النوع الأول منه وهو ما مستنده النقل وتحدّث في (الفصل الرابع) عن النوع الثاني وهو ما مستنده الاستدلال بغير النقل وهذا النوع حدث بعد الصحابة والتابعين والذين وقعوا فيه قومان (قوم) اعتقدوا معاني ثم حَمَلُوا أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا، و(قوم) فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِمَجْرَدِ مَا يَسُوغُ أَنْ يُرِيدَهُ الْعَرَبِيُّ بِكَلَامِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ وَالْمُنْزَلِ عَلَيْهِ وَالْمُخَاطَبِ بِهِ، فَالْأَوَّلُونَ رَاعُوا الْمَعْنَى وَالْآخِرُونَ رَاعَوْا مَجْرَدَ اللَّفْظِ، وفي (الفصل الخامس) تحدّث عن أفضل طرق التفسير، وختم المقدمة بالحديث عن تفسير القرآن بمجرد الرأي.

وهذه المقدمة من أنفس ما ألّف في موضوعها ولا تزال منهلاً يَنْهَلُ منه العلماء.

٣ - القواعد الحسان لتفسير القرآن: لابن سعدي

وقد سبق التعريف بمؤلفه رحمه الله تعالى.

أمّا الكتاب فقد عَرَفَ به مؤلفه رحمه الله تعالى في المقدمة حيث قال «فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم، جليلة المقدار، عظيمة النفع، تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله، والإِهْتِدَاءَ بِهِ، وَمَخْبَرُهَا أَجَلٌ مِنْ وَصْفِهَا، فَإِنَّهَا تَفْتَحُ لِلْعَبْدِ مِنْ طَرِيقِ التَّفْسِيرِ وَمِنْهَااجِ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ مَا يَغْنِي عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْخَالِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْبَحْثِ النَّافِعَةِ»^(١).

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن السعدي ص: ٣.

وقد ذكر رحمه الله تعالى سبعين قاعدة وضرب الأمثلة لكل قاعدة منها فجاء كتابه في أربع ومائتين من الصفحات، وطبع سنة ١٣٦٦هـ بتصحيح محمد حامد الفقي.

٤ — بدع التفاسير: عبد الله محمد الصديق الغماري:

المؤلف: هو أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري ولد في طنجة في المغرب سنة ١٣١٧هـ ودرس فيها، ثم سافر إلى مصر سنة ١٣٤٩هـ ودرس على علمائها وتقدم سنة ١٣٥٠هـ لامتحان شهادة العالمية من جامعة الأزهر فحصل عليها وهو فقيه محدث صوفي على الطريقة الشاذلية^(١)، شديد الحملة على ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وله عدد من المؤلفات منها (إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان) و(عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام) و(جواهر البيان في تناسب سور القرآن) و(الكنز الثمين في حديث النبي الأمين) وغير ذلك.

أمّا الكتاب فيقع في (١٨٨) صفحة قال مؤلفه في تعريفه: «أمّا بعد فهذا مؤلف عجيب، ليس له في بابهِ ضريب، تضمّن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة، وقد تكون أحياناً خاطئة، يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه، لنُبوّ لفظه عنها، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة أو نحو ذلك وسميته (بدع التفاسير)^(١).

(١) بدع التفاسير: عبد الله الغماري ص: ٤. وقد ترجم لنفسه ترجمة مطولة في آخر الكتاب، ومنها أخذنا هذا التعريف به.

وذكر في خاتمة كتابه وجوهاً أخرى لِعَدِّها من بدع التفاسير فقال: (عَلِمْتُ مما عرضناه من نماذج «بدع التفاسير» أَنَّها لا تخلو من أن تكون مخالفة للفظ الآية، أو منافية لإعرابها أو منافرة لسياق الكلام، أو غير متلاقية مع سبب النزول، أو مُصَادِمَةٌ للدَّلِيل، ومن ثَمَّ كانت بدعيَّتها) (١).

وقد جرى المؤلف على أن يذكر اسم السورة ثم يذكر بدع التفسير في بعض آياتها وهكذا في كثير من سور القرآن الكريم.

وتكلم في الخاتمة عن التفسير الإشاري الذي يسلكه الصوفية في تفاسيرهم ثم عَرَفَ بعدد من التفاسير المشهورة المُتداولة وتبلغ إثنين وثلاثين تفسيراً، ثم ترجم لنفسه في آخر كتابه.

وهو ينقل بعض هذه البدع من الزمخشري، كما ينقل رَدَّ الزمخشري عليها، وأحياناً يَصِفُ تفسير الزمخشري وأمثاله من مفسري المعتزلة بالبدعة وكذا ما ينقله من تفسير الرافضة وغيرهم.

والطريف أنَّ تفسيره هو وردوده على أهل البدع لا يخلو من البدع.

٥ - التفسير والمفسرون: للذهبي (٢).

المؤلف: هو الشيخ محمد حسين الذهبي ولد في قرية مطوبس في مصر سنة ١٣٣٣ حصل على شهادة العالمية من الأزهر سنة ١٣٦٥ هـ وكان البحث الذي تقدم به للحصول على هذه الدرجة هو كتابه (التفسير

(١) بدع التفاسير: عبد الله الغماري ص: ١٤٩.

(٢) انظر ترجمته في كتاب (من الدراسات القرآنية المعاصرة في علوم القرآن) عبد الله القرني

والمفسرون) عمل مدرسا في مصر والسعودية وفي الكويت وفي العراق وعُيِّن وزيراً للأوقاف المصرية أغتيل رحمه الله تعالى في يوليو سنة ١٩٧٧م.

ومن مؤلفاته رسالة بعنوان (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم) و(الإسرائيليات في التفسير والحديث) و(أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع).

أمّا كتابه (التفسير والمفسرون) فهو موسوعة شاملة في تاريخ التفسير منذ نشأته إلى العصر الحديث وقد عرّف به مؤلفه رحمه الله تعالى في مقدمته فقال: «هو كتاب يبحث عن نشأة التفسير وتطوره، وعن مناهج المفسرين وطرائقهم في شرح كتاب الله تعالى وعن ألوان التفسير عند أشهر طوائف المسلمين ومن ينتسبون إلى الإسلام وعن ألوان التفسير في هذا العصر الحديث وراعى أن أضمّن هذا الكتاب بعض البحوث التي تدور حول التفسير: من تطرّق الوضع إليه، ودخول الإسرائيليات عليه وما يجب أن يكون عليه المفسر عندما يحاول فهم القرآن أو كتابة التفسير»^(١).

وقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء سنة ١٣٨١هـ، ثم نشرته إحدى دور النشر في لبنان فدمجت الجزئين الثاني والثالث في مجلد واحد فصار الكتاب كله في مجلدين، وبعد موته رحمه الله عثرت أسرته بين أوراقه على كراستين بخطه عبارة عن نقول أعدها في الفترة من ١٩٦٠—١٩٦٣م أثناء عمله أستاذاً بكلية الشريعة ببغداد، قال مُعدها للنشر «يبدو أنّه — رحمه الله — كان يُمهّد بهذه النقول للتعليق عليها لتكون إضافة جديدة إلى بحثه الشامل عن (التفسير والمفسرون) عند الشيعة الإثنى عشرية

(١) التفسير والمفسرون: للذهبي ج١: ص ٩.

والإسماعيلية ولكنَّ قضاء الله سبق، فلم يتيسر له ذلك»^(١).

وقد نشرت مكتبة وهبة في القاهرة هاتين الكراستين بعد وضع مقدمة لها بنقل ما كتبه ابن حزم عن الشيعة، وما كتبه عنهم الشهرستاني، ثم نقل ما كتبه الذهبي نفسه عن الشيعة وموقفها من التفسير في الجزء الثاني من كتابه (التفسير والمفسرون)^(٢) وقُدِّمت هذه النقول الطويلة كتمهيد بين يدي الكراستين فجاءت النقول في نحو ١٣٦ صفحة.

والكتاب بأجزائه الأولى لا يكاد يستغنى عنه الباحث في علم التفسير. والله الهادي إلى سواء السبيل،،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) المرجع السابق: ج: ٣ ص: ٣.

(٢) المرجع السابق: ج: ٣ ص: ٤.

المصادر والمراجع

- ١ — اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٢ — الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية، ١٣٤٣هـ، المطبعة الأزهرية بمصر، والطبعة الثالثة، ١٣٧٠هـ مصطفى البابي الحلبي.
- ٣ — الأحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي الآمدي تعليق عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى، مؤسسة النور بالرياض.
- ٤ — إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ.
- ٥ — الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ملا علي القاري: تحقيق محمد الصباغ، ١٣٩١.
- ٦ — الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني مصورة عن الطبعة الأولى مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.
- ٧ — أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٨ — أعيان القرن الثالث عشر: خليل مردم بك الطبعة الثانية، ١٩٧٧م مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٩ — الإكسير في علم التفسير: سليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي، تحقيق د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب — القاهرة.
- ١٠ — الإكليل في المتشابه والتأويل: ابن تيمية، مكتبة أنصار السنة المحمدية — القاهرة — الطبعة الثانية — ١٣٦٦هـ.
- ١١ — البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- ١٢ — بدع التفاسير: عبد الله محمد الصديق الغماري: دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء — الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ١٣ — البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

- ١٤ - بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر.
- ١٥ - تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤ م، دار المعارف بمصر.
- ١٦ - تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية المدينة المنورة.
- ١٧ - تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر): عبد الرحمن بن خلدون مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ١٨ - تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ.
- ١٩ - التبيان في آداب حملة القرآن: يحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق وتخراج عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد الطائف - الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٠ - تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، مجلس إدارة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الدكن - الهند، ١٣٧٥ هـ، الطبعة الثالثة.
- ٢١ - التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي تحقيق محمد اليونسى وإبراهيم عوض - دار الكتب الحديثة، مصر.
- ٢٢ - التعريفات: السيد الشريف الجرجاني، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، بمصر ١٣٥٧ هـ.
- ٢٣ - تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن، دار الفكر، بيروت.
- ٢٥ - تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) مكتبة النهضة الحديثة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ.
- ٢٦ - تفسير مجاهد: قدم له وحققه عبد الرحمن الطاهر السورتى - المنشورات العلمية - بيروت.
- ٢٧ - التفسير معالم حياته - منهجه اليوم: أمين الخولي، جماعة الكتاب ١٩٤٤ م، وطبعة دار الكتاب اللبناني الأولى، ١٩٨٢ م.
- ٢٨ - التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى،

- ١٣٨١ هـ، والجزء الثالث مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
- ٢٩ - تفسير المنار: محمد رشيد رضا، الطبعة الرابعة، دار المنار بمصر ١٣٧٣ هـ.
- ٣٠ - التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل: حامد العمادي (مخطوطة مصورة في مكتبة الحرم المدني).
- ٣١ - تقييد العلم: البغدادى، الطبعة الثانية، تحقيق يوسف العش، دار احياء السنة النبوية، بيروت، ١٣٩٥ هـ.
- ٣٢ - تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، ١٣٢٥ هـ.
- ٣٣ - تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد الحليم النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٣٤ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر.
- ٣٥ - الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد القرطبي أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٥ م.
- ٣٦ - الجامع الصحيح: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٧ - الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار دار الكتاب العربي - بيروت، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٦ هـ.
- ٣٧ - خصائص القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن الرومي، دار طيبة، الرياض الطبعة السابعة، ١٤١١ هـ.
- ٣٨ - خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: د. محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الثاني والأربعون، شوال، ١٣٩١ هـ.
- ٣٩ - درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
- ٤٠ - دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: د. أحمد جمال العمري مكتبة الخانجي - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ٤١ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة - مصر.

- ٤٢— الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، الناشر: محمد أمين دمج — بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ٤٣— الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب — دار المعرفة — بيروت.
- ٤٤— سنن الدارقطني، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ عالم الكتب، بيروت.
- ٤٥— السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.
- ٤٦— سير اعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، اشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤٧— شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٢١هـ.
- ٤٨— شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن أبي العز، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ، بتحقيق جماعة من العلماء.
- ٤٩— شرح الكوكب المنير: تقي الدين محمد بن شهاب الدين الفتوحي، المعهد العلمي السعودي بالرياض — تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ، مطبعة السنة المحمدية.
- ٥٠— صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا، ١٩٧٩م.
- ٥١— صحيح مسلم: تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد — الرياض ١٤٠٠هـ.
- ٥٢— الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد مطبعة بريل ١٣٣٢هـ ليدن وطبعة دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ.
- ٥٣— طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه الطبعة الأولى.
- ٥٤— طبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه، الطبعة الأولى.
- ٥٥— العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم: علي بن لالي بالي، المطبعة الميمنية — مصر- ١٣١٠هـ.

- ٥٦- الفكر الديني في مواجهة العصر: عفت الشرقاوي، مكتبة الشباب بمصر.
- ٥٧- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت: عبد العلي محمد بن نظام الدين، بهامش كتاب المستصفى للغزالي، مصورة عن الطبعة الاولى بالمطبعة الاميرية ببولاق، مصر ١٣٢٢، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.
- ٥٨- في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ دار الشروق بيروت - القاهرة.
- ٥٩- القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة.
- ٦٠- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي تحقيق محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ دار احياء الكتب العربية - القاهرة.
- ٦١- القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي تصحيح محمد حامد الفقي، مطبعة انصار السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٦هـ.
- ٦٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع: ابو محمد مكّي بن ابي طالب تحقيق د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٦٣- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- ٦٤- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.
- ٦٥- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): علاء الدين علي ابن محمد البغدادي، المعروف بالخازن - دار الفكر.
- ٦٦- مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق الطبعة الاولى، ١٤١٠هـ.
- ٦٧- مجموع فتاوي ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد - مطابع الرياض - الطبعة الاولى، ١٣٨١هـ.
- ٦٨- مذاهب التفسير الاسلامي: اجنتس جولد تسهر، ترجمة د. عبد الحليم النجار دار اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- ٦٩- مسند الامام احمد بن حنبل: المكتب الاسلامي، دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ، وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٣هـ، الطبعة الرابعة بتحقيق وتخريج احمد محمد شاكر.
- ٧٠- مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الطبعة الاولى، ١٣٩٢هـ.
- ٧١- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي: تحقيق محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ بيروت.
- ٧٢- المعجم الكبير: الطبراني تحقيق وتخريج حمدي السلفي، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ والطبعة الثانية وزارة الاوقاف العراقية.
- ٧٣- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) الفخر الرازي الطبعة الثالثة دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٧٤- مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زررور، دار القرآن الكريم - الكويت، الطبعة الاولى، ١٣٩١هـ.
- ٧٥- المكتفى في الوقف والابتداء: ابو عمرو الداني، تحقيق د. يوسف المرعشلي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٤هـ.
- ٧٦- مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم آل جعفر، د. محي هلال السرحان، وزارة التعليم العالي، العراق، الطبعة الاولى، ١٩٨٠م.
- ٧٧- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار احياء الكتب العربية - القاهرة.
- ٧٨- المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم: د. كامل سفعان، الطبعة الاولى ١٩٨١م، مكتبة الانجلو المصرية.
- ٧٩- الموافقات في اصول الشريعة: ابو اسحاق الشاطبي، بشرح عبد الله دراز وترقيم محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

٨٠ — الموطأ: الامام مالك بن انس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٠هـ.

٨١ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ابو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٣٨٢ وطبعة دار الفكر العربي.

٨٣ — النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٨٣ — نواسخ القرآن: ابن الجوزي، تحقيق محمد اشرف الملباري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الاولى، ١٤٠٤هـ.

٨٤ — وفيات الاعيان: ابن خلكان، تحقيق عبي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

المجلات:

١ — مجلة اصول الدين — جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية — العدد الثاني.

دليل المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
اولا: تعريف التفسير وبيان مكانته وفضله:	
(أ) تعريفه لغة واصطلاحاً	٧
(ب) الفرق بينه وبين التأويل	٨
(ج) تعريف أصول التفسير	١١
غايته	١٢
فائدته	١٢
موضوعه	١٣
(د) فضل هذا العلم ومكانته	١٣
ثانيا: نشأة علم التفسير ومراحله:	
(أ) التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم	١٤
مقدار ما فسرهُ الرسول صلى الله عليه وسلم	١٥
منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير	١٩
(ب) التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم	١٩
تفاوتهم رضي الله عنهم في فهم معاني القرآن الكريم	١٩
أسباب ذلك	٢٠
مزايا تفسير الصحابة رضي الله عنهم	٢١
منهجهم رضي الله عنهم في التفسير	٢٢
أشهرهم رضي الله عنهم في التفسير	٢٦
مدارس الصحابة في التفسير	٢٦
حكم تفسير الصحابي	٢٩
(ج) التفسير في عهد التابعين رحمهم الله تعالى	٣٠
منهجهم رحمهم الله تعالى في التفسير	٣١
مزايا تفسيرهم	٣٢
أشهر المفسرين من التابعين	٣٣

٣٣	حكم تفسير التابعي
٣٥	(د) التفسير في عهد التدوين
٣٥	المرحلة الاولى
٣٦	المرحلة الثانية
٣٧	المرحلة الثالثة
٣٨	المرحلة الرابعة
٣٩	اهم المؤلفات في عصر التدوين
	ثالثا: اختلاف المفسرين وأسبابه:
٤١	أسباب قلة اختلاف الصحابة في التفسير
٤٢	بيان أن اختلاف السلف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد
٤٢	انواع اختلاف التنوع
٤٤	أسباب الاختلاف
٤٤	أولا: أن يكون في الآية أكثر من قراءة
٤٦	ثانيا: الاختلاف في وجوه الأعراب
٤٦	ثالثا: احتمال اللفظ لأكثر من معنى
٤٨	رابعا: احتمال الإطلاق والتقييد
٤٩	خامسا: احتمال العموم والخصوص
٥٠	سادسا: احتمال الحقيقة والمجاز
٥١	سابعا: الإضمار والإظهار
٥٢	ثامنا: النسخ والإحكام
٥٣	تاسعا: الاختلاف في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم
	رابعا: أساليب التفسير
٥٥	الفرق بين الاتجاه والمنهج والأسلوب
٥٧	أولا: التفسير التحليلي
٥٩	ثانيا: التفسير الإجمالي
٦٠	ثالثا: التفسير المقارن
٦٢	رابعا: التفسير الموضوعي
٦٣	صور التفسير الموضوعي عند السلف

٦٦	أنواع التفسير الموضوعي
	خامسا: طرق التفسير
٧٠	انقسام طرق التفسير إلى قسمين
٧١	أولا: التفسير بالمأثور
٧١	فضله ومكانته
٧٢	أسباب الوضع في التفسير بالمأثور
٧٢	أنواع التفسير بالمأثور
٧٣	مصادر التفسير بالمأثور
٧٦	أوجه بيان السنة للكتاب
٧٨	حكم التفسير بالمأثور
٧٨	ثانيا: التفسير بالرأي
٧٨	المراد به
٧٨	أقسامه
٧٩	التفسير بالرأي المحمود
٧٩	حكمه
٨٠	التفسير بالرأي المذموم
٨١	حكمه
	سادسا: مناهج التفسير
٨٦	أولا: منهج التفسير بالمأثور
٨٦	نشأته
٨٧	أسباب ضعف الرواية للتفسير بالمأثور
٨٩	تدوين التفسير بالمأثور
٩١	ثانيا: منهج التفسير الفقهي
٩١	نشأته وتطوره
٩٤	من المؤلفات فيه
٩٥	ثالثا: منهج التفسير العلمي
٩٦	آراء العلماء فيه
٩٧	أدلة المؤيدين

٩٧	أدلة المعارضين
٩٨	الرأي الراجح
٩٩	أهم المؤلفات فيه
١٠٠	رابعاً: منهج التفسير العقلي
١٠٠	نشأته
١٠٠	أدلة المانعين من التفسير بالرأي
١٠١	أدلة المجيزين
١٠٢	الرأي الراجح
١٠٣	أهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المحمود
١٠٣	أهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المذموم
١٠٤	خامساً: منهج التفسير الاجتماعي
١٠٥	أهم المؤلفات فيه
١٠٦	سادساً: منهج التفسير البياني
١٠٦	نشأته وتطوره
١٠٨	أهم خطوات المنهج البياني
١٠٩	أهم المؤلفات فيه
١١٠	سابعاً: منهج التذوق الأدبي
١١٠	المراد به
	سابعاً: اعراب القرآن الكريم
١١٤	تعريفه لغة واصطلاحاً
١١٤	أهمية هذا العلم
١١٥	نشأته وتطوره
١١٦	ما يجب على المعرب معرفته
١١٨	أهم المؤلفات فيه
	ثامناً: غريب القرآن الكريم
١٢٠	تعريفه لغة واصطلاحاً
١٢٠	موضوعه
١٢٠	أهميته

١٢٣	نشأته وتطوره
١٢٥	أهم المؤلفات فيه

تاسعاً: الوجوه والنظائر

١٢٧	تعريفه لغة واصطلاحاً
١٣٠	موضوع هذا العلم
١٣٠	أهمية هذا العلم
١٣٢	نشأته وتطوره
١٣٤	أهم المؤلفات فيه

عاشراً: قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر:

١٣٦	من أهمها:
١٣٦	أولاً: كل عام يبقى على عمومته حتى يأتي ما يخصه
١٣٧	ثانياً: العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
١٣٨	ثالثاً: اختلاف القراءات في الآية يعدد معانيها
١٣٩	رابعاً: المعنى يختلف باختلاف رسم الكلمة
١٤٠	خامساً: السياق القرآني
١٤٢	سادساً: التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة
١٤٢	سابعاً: تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي
	حادي عشر: أهم المؤلفات في التفسير ومناهجه:
١٤٤	أولاً: المؤلفات في التفسير
١٤٤	١ — المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفوها
١٤٤	(١) جامع البيان: للطبري
١٤٧	(٢) معالم التنزيل: للبخاري
١٤٨	(٣) المحرر الوجيز: لابن عطية
١٥٠	(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير
١٥١	(٥) الدر المنثور: للسيوطي
١٥٢	٢ — المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفوها
١٥٢	(١) الكشاف: للزمخشري

١٥٤	(٢) مفاتيح الغيب: للرازي
١٥٥	(٣) البحر المحيط: لأبي حيان
١٥٦	(٤) إرشاد العقل السليم: لأبي السعود
١٥٧	(٥) روح المعاني: للألويسي
١٥٨	٣ — المؤلفات في التفسير في العصر الحديث ومؤلفوها
١٥٨	(١) محاسن التأويل: القاسمي
١٥٩	(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا
١٦٠	(٣) تيسير الكريم الرحمن: لابن سعدي
١٦١	(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب
١٦٣	(٥) أضواء البيان: الشنقيطي
١٦٥	ثانيا: المؤلفات في دراسة التفسير ومناهجه
١٦٥	منها اجمالاً:
١٦٦	التعريف ببعضها
١٦٦	(١) الإكسير في علم التفسير: الطوفي
١٦٧	(٢) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية
١٦٨	(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن: لابن سعدي
١٦٩	(٤) بدع التفاسير: الغماري
١٧٠	(٥) التفسير والمفسرون: الذهبي
١٧٣	فهرس المصادر
١٨١	فهرس الموضوعات